رسائل من التّابعين

أدهم شرقاوي
"قس بن ساعدة"



رَسَائِلُ مِنَ التَّابعين

رَسَائِلُ مِنَ التَّابعين

أدهم شرقاوي

دار كلمات للنشر والتوزيع
البريد إلكتروني:
Dar_Kalemat@hotmail.com
الموقع الإلكتروني:
www. kalemat.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

* All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without the prior written permission of the publisher.

ردمك: 978-9921-809-74-9

رَسَائِلُ مِنَ التَّابعين

أدهم شرقاوي

2025

kalemat

الإهـــداء

كانَ التَّابعيُّ الجليلُ أبو مسلم الخولانيّ يقولُ:
أيحسبُ أصحابُ محمَّد أن يستأثِرُوا به دوننا؟!
كلا، واللّه لنزاحمنَّهم عليه زِحاماً،
حتى يعلموا أنَّهم قد خلَّفُوا وراءهم رِجالاً!
هذا الكتاب مُهدىً إلى الذين قرَّروا أن يخوضوا السِّباق،
حتى إذا رأوا النَّبيَّ ﷺ يوم القيامة قالوا له:
ما رأيناكَ، ولكنَّا آمنَّا بكَ،
ما سمعناكَ، ولكنَّا صدَّقناكَ،
وكُنَّا نتصبَّرُ بأنَّا في هذا اليوم سنلقاكَ!

1
الوُدُّ بالودِّ والزُّهد بالزُّهد!

في كتابِ مناقب الشَّافعيِّ للإمام البيهقيِّ:

قال الإمام الشّافعيُّ: أظلمُ النّاسِ لنفسِه، من رغبَ في مودَّةِ من زهِدَ به!

يا صاحبي: قد لا يملكُ الإنسان قلبه،

ولكن من العيبِ أن تهون عليه كرامته!

ومن أجملَ ما قالتِ العربُ: عزِّ نفسكَ تجِدْها!

لا تتسوَّل الحبّ، فإن النّاسَ لا يحبُّون من لا كرامة له!

ولا تطرق الأبوابَ المغلقة كثيراً فتصبح أضحوكة!

الودُّ بالودِّ، والزُّهد بالزُّهد!

زِنْ كلَّ إنسان بالشَّيء الذي وزنكَ به لا أقلَّ ولا أكثر!

2
القلوبُ بِحَارٌ لا سواحلَ لها!

قال ابنُ القيِّم في كتابه روضة المحبِّين ونزهة المشتاقين:
القلبُ يشمُّ رائحة القلب!
يا صاحبي: القلوبُ بِحارٌ لا سواحلَ لها!
فلا تُجادلْ مُحِبًّا ما لم يكن قلبُه في صدركَ!
ومن قبل شمَّ يعقوب رائحة يوسف، وأولاده له منكرون!
وحده الحُبُّ يجعلُ صوتَ بعضِ النَّاسِ عزفاً،
وحده الحُبُّ يجعلُ وجه بعضِ النَّاسِ دواءً،
وجده الحُبُّ يجعل حضن بعضِ النَّاسِ عَالَماً،
وحده الحُبُّ يجعل يد بعضِ النَّاس بلسماً،
بغير الحُبِّ ما الحبيب إلَّا واحدٌ من النَّاس، وبالحُبِّ يصبحُ الحبيبُ كلَّ النَّاس!

3
بالكُرهِ منِّي ما يجري لكِ يا خديجة!

قال ابنُ القيِّم في كتابِه روضة المحبين ونُزهة المشتاقين:
إذا امتزج الماءُ بالماءِ امتنعَ تخليصُ بعضه من بعض،
وقد تبلغُ المحبَّةُ بين المحبِّين أن يتألم أحدهما بتألم الآخر!
يا صاحبي: وهلِ الحبُّ إلا صدى قلبٍ لقلبٍ؟!
أن يُشاكَ حبيبُكَ بشوكة في قدمه فتشعر بها في قلبكَ!
وأن يحزنَ فتسْوَدَّ الدُّنياً في عينيكَ لحزنه!
وأن يمرضَ فتتقطَّعَ ألماً عليه!
عندما مرضتْ خديجة مرضها الذي ماتت فيه،
نظرَ إليها النَّبيُّ ﷺ وقال: بالكُرهِ منِّي ما يجري لكِ يا خديجة!
أي يُوجعني وجُعُكِ!

4
أين العُقوبة؟!

قَال ابنُ القيِّم في كتابه بدائع الفوائد:
ما ضُربَ عبدُ بعقوبةٍ أشدُّ من قسوة القلبِ!
يا صاحبي: يحسبُ العصاة أنَّه إذا سَلِمَ رزقهم فقد سَلِمُوا!
ولعلَّكَ تسمعُ أحدهم يقول: أين العقوبة؟!
فَقُلْ له: وأيُّ عقوبةٍ أقسى ممَّا أنتَ فيه؟!
تمَّرُ بكَ الجنازة فلا تحرِّك فيك شعرة،
وتُتلى عليكَ الآية فتدخل من أُذنٍ وتخرج من أذن،
تفوتك الصلوات فلا تضطَّرب كلُّ خليَّةٍ فيك،
ترى أهل البلاء فلا تراجع نفسك بما أنت فيه من العافية!
أما زلتَ تسأل أين العقوبة وقد صار قلبُك حجراً؟!

5

لا يتكبَّرُ إلَّا وضيع! •

في سِير أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:

قال الإمام الشَّافعيُّ:

أرفعُ النّاسِ قَدْراً من لا يرى قَدْره!

يا صاحبي: لا يتواضعُ إلَّا رفيع، ولا يتكبَّرُ إلَّا وضيع!

الرَّفيعون عندهم سلامٌ نفسيٌّ فلا يحتاجون إلى انتقاص النَّاس،

والوضيعون عندهم عُقَد نقصٍ فيتكبَّرون ليرمموا نقصهم!

كان الأعرابيُّ يأتي من الباديةِ، ويسأل: أيُّكم محمد؟!

والنَّبيُّ ﷺ جالسٌ بين أصحابه لا يُعرف من بينهم!

صعد إلى السَّماء السَّابعة ثمَّ عاد إلى الأرض،

بقي يحلب شاته، ويخصِف نعله، ويجالس المساكين!

والوضيع إذا دُعي إلى مؤتمرٍ تعالى على النَّاس كأنَّه كان عند العرش!

6
لا تَكُنْ امرأةً بشوارب!

في كتابِ الأغاني للأصفهانيِّ:
كانتِ العربُ تكرَه للرّجلِ الدُّخول في خصومات النِّساء!
يا صاحبي: إنَّما يُعرفُ الرَّجلُ بالقضايا التي تُثير اهتمامه!
«اللَّتُ والعجنُ» ليست من شِيَم الرِّجال،
والقيل والقال هي مجالس ربَّات الحِجال،
خلق الله تعالى الرِّجال بصفاتٍ، وخلق النِّساء بصفاتٍ،
وأجمل ما يفعله الرَّجل أن يكون رجلاً،
وأجمل ما تفعلُه المرأة أن تكون امرأةً،
الرَّجل الذي فيه طبعُ الإناث غثيث، والمرأة المسترجِلة لا تُطاق!
لا تخرُجُوا من الفِطرة التي خلقكم الله تعالى عليها،
لا تكُن امرأةً بشوارب، ولا تكوني رجلاً بلا لحية!

7
عيوبُ النَّاس تُطوى ولا تُروى!

في كتابِ تاريخِ دمشق لابن عساكر:

قال سُفيان الثَوريُّ: إنَّ الرَّجل يُحدِّثني بالحديث، قد سمعتُه أنا قبل أن تلده أُمَّه، فيحملني حُسن الأدب أن أسمعه منه!

يا صاحبي: إنَّ للمجالس آداب، ومن آدابها:

- لا تقطع على المتحدِّث حديثه، أو تكمل له خبراً أو بيتاً لتريَه أنَّك تحفظه!
- الآراء للعرض لا للفرضِ، خُضْ نقاشاً لا حرباً!
- اُنظُرْ في وجه المتكلِّم، قلَّة الاهتمام جارحة!
- ما كان في المجلس يبقى فيه، عيوبُ النَّاس تُطوى ولا تُروى!
- لا تُكثر الحديث عن النِّعم فهي ليست للتَّباهي!
- لا تُقلِّل من قيمةِ ضيافة قُدِّمتْ لك مهما كانت!
- إن كنتَ الضَّيف، فلا تتصرَّف أنَّك صاحب الدَّار!
- إن كنتَ صاحب الدَّار، فأشعِر الضَّيف أنَّه هو صاحبُها!
- لا تكن المتحدِّث الوحيد، مجالسُ النَّاس ليست للمحاضرات!

8
لن تكرههم ولو نشروك بالمناشير!

في كتابِ روضةِ العقلاءِ لابنِ حِبَّان:
الودُّ الصحيح هو الذي لا يميل إلى نفع، ولا يُفسده منع!
يا صاحبي: بعض النَّاس لن تحبَّهم ولو أعطوك الدُّنيا،
وبعض النَّاس لن تكرههم ولو نشروك بالمناشير!
سبحان من جعل للقلوب أسراراً لا يدركها العقل،
وللمشاعر أسباباً لا تخضع للمنطق!
كان عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول:
لنا قوم لو سقيناهم العسل المصفَّى، ما ازدادوا فينا إلَّا بُغضاً!
ولنا قومٌ لو قطعناهم إرباً ما ازدادوا فينا إلَّا حُبّاً!

9
من أكثرَ التَّدقيق حُرِمَ التَّوفيق!

فِي كتاب تهذيب الكمال للمَزِّيِّ:

قال ابنُ الجوزيِّ: العاقلُ الذَّكِيُّ من لا يُدقِّق،

في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ مع أهله وأصحابه وأحبابه وجيرانه!

يا صاحبي: أحياناً أجمل ردَّة فعلٍ هي ألا يكون لكَ ردَّة فعل!

لاَ تُحلِّلْ كلَّ تصرُّف، ولا تقفْ عند كلِّ كلمة،

النَّاسُ فُطِروا على الهفوات فاحتملها منهم،

لا تجادل الزَّوجة في كلِّ مصروف البيت كأنَّها تعمل عندك محاسبة،

ولا تدقِّقِي في كل ما يُنفقه زوجك كأنَّه يأخذ مصروفه منكِ!

لاَ تشعلْ حرباً مع الجار لقطرة ماءٍ أصابت جدارك،

ولا تقطع رحِمك لأن لك قانون واحدةٍ بواحدةٍ!

صدِّقني: من أكثر التَّدقيق حُرِمَ التَّوفيق!

10
إنَّ النَّعيم لا يُدركَ بالنَّعِيم!

في كتاب أدبِ الدِّين والدُّنيا للماورديِّ:
أَتعِبْ قدماكَ، فإن تَعِبا قَدَّماكَ!
يا صاحبي، إنَّ النَّعيم لا يُدركَ بالنَّعِيم!
كان البخاريُّ يُسافر آلاف الأميال لأجل حديثٍ!
وجاء بقيٌّ بن مخلدٍ من الأندلس إلى بغداد ليأخذ عن أحمد بن حنبل!
وتغَرَّب الشافعيُّ في هُذيلٍ ليتعلَّم العربيَّة،
وكان سيبويه يطوي ركبتيه بالسَّاعات في مجلس الخليلِ بن أحمد!
أنتَ ترى المريول الأبيض للطبيب، ولكنَّك لم ترَ ساعات السَّهر!
وترى الرَّجل يسير في السِّيرك على حبل، ولكنَّك لم ترَ كم مرَّةً وقع!
وستحدِّث أولادك أن خالد بن الوليد هزم الرُّوم والفرس،
ولكن لا تنسَ أن تحدِّثهم أنَّه ما من موضعٍ في جسده،
إلَّا وفيه طعنةُ رمح، أو ضربةُ سيفٍ!
لكلِّ شيءٍ ثمن، فلا تطمحْ للحصادِ ما لم يكن لكَ زرع!

11

الإنسان إذا أحبَّ استعذبَ من حبيبه ضربة السَّيف!

في كتابِ عيونِ الأخبارِ لابن قُتيبة:

قال اليزيديُّ: جئتُ الخليلَ بن أحمد فوجدتُه جالساً على بساط،

فأوسعَ لي، فجلستُ بعيداً، فقالَ: ما لكَ؟

فقلتُ: كرهتُ التَّضييقَ عليكَ!

فقال: إنَّه لا يضيقُ سَمُّ خِياطٍ/ ثقب إبرة على متحابَّين،

ولا تتَّسعُ الدُّنيَا لمُتبَاغِضَيْنِ!

يا صاحبي: إنَّما نحن قلوب!

إنَّ الإنسان إذا أحبّ استعذبَ من حبيبه ضربة السَّيف،

وإذا كرِه استقبح ممَّن يكره شربة العسل!

وجوه الذين نكرههم مرض، ووجوه الذين نحبُّهم دواء!

نمشي لمن نحبُّ آلاف الأميال، ونستثقل أن نمشي لمن نكره خطوة!

12
إذا أعطيتَ فانسَ، وإذا أخذت تذكَّر!

في سير أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيّ:
كان الخليل بن أحمد إذا أفاد إنساناً شيئاً، لم يُرِه بأنّه أفاده!
وإذا استفادَ من أحدٍ شيئاً، أراه أنَّه استفادَ منه!
يا صاحبي: إذا أعطيتَ فانسَ، وإذا أخذتَ تذَكَّر!
النّبيلُ يكتبُ إحسانه إلى النّاس على الرِّمال ليُمحى!
ويحفرُ إحسان النَّاس إليه على الصَّخر ليبقى!
وتذكَّر دائماً إنَّ أكبر حاجة عند النَّاس ليس الحُبِّ والاهتمام،
ولكنَّها الحاجة إلى التَّقدير!
لا أحد منَّا إلَّا ويحبُّ أن يشعر أنَّ ما يقوم به مقدَّر،
التَّقدير يدفعنا لتقديم المزيد، والجحود يقتل فينا المبادرة،
لهذا نحن تُقدِّم الأشياء دون مقابل: ولكنَّنا لا نقدِّمها دون تقدير!

13
إنَّها قلوبٌ والنَّاسُ فيها منازل!

في كتاب لطائف المعارف لابن رجب:

قال الإمام أحمد: إنَّ لِي إخواناً ما ألقاهم في السَّنة إلا مرّة،

أنا أوثقُ في مودَّتهم ممَّن ألقى كلَّ يوم!

يا صاحبي: إنَّها قلوبٌ والنَّاسُ فيها منازل!

وقد يلتقي الغريبُ بالغريب فيصيرُ كلُّ واحدٍ للآخر أهلاً،

وقد يجمعُ الأجساد سقفٌ، فتُبعثِرهم المشاعر!

إن الحُبَّ بالمودَّة لا بالمدَّة!

وإنَّ الأثر بالعمق لا بالكثرة!

وإنَّ اللَّهفة لمسةٌ عُلويَّةٌ لا تُباع ولا تُشترى،

وإنَّ الأُنسَ أن يركبَ ضلعٌ على ضلعٍ!

14
الأنبياءُ آباءُ بناتٍ!

في كتابِ لطائفِ المعارفِ لابنِ رجبٍ:
كان الامامُ أحمد إذا بلغه أنَّ أحدَ أصحابه رُزِقَ ببنتٍ،
قال: أخبروه أنَّ الأنبياءَ آباءَ بناتٍ!
يا صاحبي: إنهُنَّ المُؤنسات الغاليات!
يقول السُّيوطي: سُميت البنت جارية لأنَّها أسرعُ جرياً في قلوب الآباء من الأبناء!
ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته،
فقال: من هذه؟
فقال له معاوية: هذه تفَّاحة القلب وريحانة العين!
وقالت العرب: يظلُّ المرءُ غليظاً إلى أن يُحِبَّ فتاة!
فلا تكرهوا البنات، فإنهنَّ المؤنسات في الصِّغر، البارَّاتُ في الكبر!
يقول الشيخ علي الطنطاوي: أمضيتُ في المحكمة خمساً وعشرين سنةً،
لم تصلني قضيَّةُ عقوقٍ ضدَّ بنتٍ، كلُّ القضايا ضدَّ الذُّكور!

15

الحُبُّ إيثارٌ لا استئثار!

قـال الإمـامُ القُشَـيرِيُّ: لـم يكـن يعقـوبُ يصبـر علـى فـراقِ يوسـف،

ولكن أذِنَ لإخوته بأخذه لعلمه أنَّه يأنسُ باللَّعب،

هكذا المُحبُّ يُؤثِرُ راحة محبوبه على راحته!

يا صاحبي: الحُبُّ إيثارٌ لا استئثارٌ!

هناك فرقٌ شاسع بين الحُبِّ، وبين حُبِّ التَّملُّك،

الذين يُحبُّون يتعاملون مع أحبابهم كأنهم قلوبٌ وأرواحٌ،

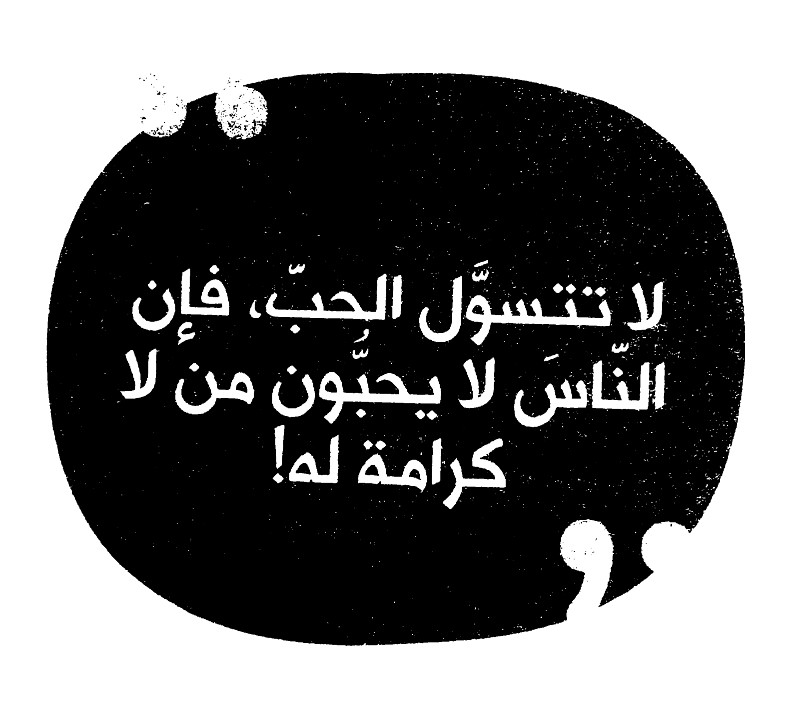
فيقدِّمون سعادةَ أحبابهم على سعادتهم،

أمَّـا الذيـن يُعانـون مـن حـبِّ التَّملُّـك يتعاملـون مـن أحبابهـم كأنهـم أشـياء،

فلا تعنيهم سعادة أحبابهم، المهمُّ أن يكونوا هم السعداء،

القانـون الخامـس فـي كتابـي خمسـون قانونـاً للحـبِّ: اِعشَـقْ ولا تتملَّـك!




لا تتسوَّل الحبّ، فإن
النّاسَ لا يحبّون من لا
كرامة له!

16
إنَّ الهَوَى لا ينكتِمُ!

قال الإمامُ القُشَيريُّ تعليقاً على قول اللّهِ تعالى:

﴿قَد شَغَفَهَا حُبًّا﴾

إنَّ الهوى لا ينكتِمُ!

يا صاحبي: إنَّ القلوبَ تظهرُ على الوُجوه!

لمعةُ العين لحظةَ النَّظرِ إلى المحبوب أبلغ من قصيدة غزل!

رجفةُ اليدين هذه التي تخبئُ خلفها رغبةً بعناق،

الأُنسُ بصوت الحبيب كأنَّه أمٌّ تهدهِد على رأس وليدها تنوِّمه،

تلك الابتسامة التي لا تُشبه الابتسامات العادية،

هذا الاحمرار في الخدَّين وكأنَّ الدَّم عاد إليهما بعد انقطاع!

الحُبُّ كالماء مهما حاولت حبسه وراء السَّدِّ،

شيءٌ منه سينفلتُ رغماً عنك!

17
حيثما وجدتَ قلبكَ فألقِ رَحلَكَ!

في كتابِ الانتقاءِ لابنِ عبدِ البَرِّ:

قالَ الإمامُ الشَّافعِيُّ:

ليسَ من قوم لا يُزوِّجون نساءَهم إلى رجالِ غيرهم،

ولا يُزوِّجونَ رجالهم إلى نساء غيرهم، إلا جاء أولادهم حمقى!

يا صاحبي، كلُّ ما جاء من أحاديثٍ عن النَّهي عن زواجِ الأقارب لا يصح!

تزوَّج النَّبيُّ ﷺ ابنة عمِّه أمُّ هانئ،

وزوَّج ابنته فاطمة لابن عمِّه عليٍّ!

وحديث الشَّافعيِّ ليس في التَّحريم وإنَّما في التحذير،

فإنّ الدَّمَ الذي لا يتجدَّد عبر أجيالٍ طويلةٍ مجلبَةٌ للأمراض!

وكانت العرب تقول: الغريبات أنجب، وبنات العمِّ أصبر!

الخلاصة: حيثما وجدتَ قلبك فألقِ رَحلكَ فهذا موطنك!

18

اِعصِ هواكَ!

في كتابِ مكارمِ الأخلاقِ للخرائطيِّ:

كتبَ عمرُ بن عبد العزيزِ إلى الحسنِ البصريِّ يقول:

إذا وصلكَ كتابي هذا فعظني، وأَوْجز، والسّلام!

فكتب إليه الحسنُ: وصلَ كِتابُك، اِعصِ هواكَ، والسَّلام!

يا صاحبي: اُنظرْ أين الهوى وَكُن في الجهةِ الأخرى فهناك النَّجاة!

النَّفسُ تهوى المالَ، وكلُّ النَّجاةِ في الصَّدقة،

والنَّفسُ تهوى النَّومَ والرّاحةَ، وكلُّ النَّجاة في قيام اللَّيل، وصلاة الفجر،

والنَّفسُ تهوى التَّفرُّسَ في المفاتن، وكلُّ النَّجاة في غضِّ البصر،

والنَّفسُ تهوى الانتقام وكلُّ النَّجاةِ في العفو،

هذه النَّفسُ إن لم تحملها على الحقِّ حملاً أهلكتْكَ!

19
متى كانتْ توبتُكَ؟!

في كتاب الزُّهدِ لعبدِ اللهِ بن المُبارك:

قيلَ لعمر بن عبد العزيز: متى كانت توبتُكَ إلى الله؟

فقال: حين أردتُ أن أضربَ غُلامي،

فقال لي: يا عمر، اُذكرْ ليلةً صبيحتُها يوم القيامة!

وأنتَ يا صاحبي: اُذكرْ ليلةً صبيحتُها يوم القيامة!

إن تزيَّنتْ لك الفاحِشة فتذَّكرْ أنَّ إسرافيل سينفخُ يوماً في الصُّور!

وإن بدا المالُ الحرامُ غنيمةً باردةً فتذكَّر الميزان قد أُقيم،

وإن قدرتَ على الظُّلم فتذكَّر الصِّراط قد نُصبَ فوق جهنَّم،

وأنّ النَّاس يَومَذَاك أحدُ رجُلين:

مُجتَازٌ برحمةِ الله ثمَّ عملُه، وهَاوٍ فيها بما كسبتْ يداه!

20
إنَّ للمجدِ ثمناً باهظاً!

في كتابِ سيرِ أعلامِ النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:

قال عمر بن عبد العزيز: لو أنَّ النَّاس، كلَّما استصعبوا أمراً تركوه،

ما قامَ لهم دينٌ ولا دُنيا!

يا صاحبي: إنَّ للمجد ثمناً باهظاً!

ما صار بقيُّ بن مخلد مُحدِّثَ الأندلسِ إلَّا لأنَّه،

أتى من هناك مشياً إلى بغداد يأخذ الحديث عن الإمام أحمد!

وكم من حديثٍ تقرأه في صحيح البخاريِّ وأنت في بيتك،

كان هو قد ترك لأجله بيته وسافر أميالاً ليسمعه!

وما استقام لسانُ الشَّافعيِّ إلا بهجرته إلى هُذَيلٍ أفصح العرب!

ثم سل نفسكَ: هل قام هذا الدِّين إلَّا بهجرتَي المدينة والحبشة؟!

وسَلِ السُيوف في بدرٍ وأحدٍ وخيبر والمشاهدِ كلِّها؟!

عياداتُ الأطباءِ سبقها ليالي طويلة من الدراسة والسَّهَر،

ووُرش الحِرَفيِّين سبقها عملٌ وجدٌّ ومكابدة!

فلا تُعِدَّ مِنجَلك للحصاد إذا كنتَ أيَّام البِذار تلعب!

21

لا توسِّعْ جُرحكَ!

في كتابِ عيونِ الأخبارِ لابن قُتيبة:

قال عِقَال بن شبَّة: كنتُ رديفَ أبي على دابةٍ،

فلقيَهُ جريرٌ، فحيّاه أبي، وتلطَّف له،

فلمَّا مضى قلتُ لأبي: أبَعْدَ ما قال فينا من هجاءٍ تُلاطفه؟!

فقال لي: يا بُنيَّ، أفأوسِّعُ جرحي!

يا صاحبي: من أجمل ما يعرفه المرء هو أن يعرف متى يتوقَّف!

بعض المعارك استمرارها متلفةٌ للأعصاب فتعلَّم الانسحاب،

وبعض العتَب تعبٌ فتعلَّم أن تطوي الصَّفحة،

والفَوزُ الملوَّثُ خسارةٌ فحافِظْ على نقائك،

من النُّضجِ أن تعلم أن بعض المعارك ربحها في خسارتها!

22

لا تُفرِّقْ بين حبيبَين!

في كتابِ عيونِ الأخبارِ لابنِ قُتيبة:

باعَ أعرابيٌّ ناقةً له إلى مالك بن أسماء، فلما صار الثَّمنُ في يده،

نظرَ إليها فذرفتْ عيناه، وقَال:

وقد تُنزعُ الحاجاتُ يا أُمَّ معمَّرٍ، كرائمَ من ربٍّ بِهِنَّ ضنينُ!

فقال له مالك: خُذْ نَاقتكَ، ولكَ ثمنُها!

يا صاحبي: بلغَ من نُبلهم أن لا يُفرِّقوا بين الرَّجل ودابَّةٍ يألفُها!

فلا تُفرِّق بين حبيبَين فإنَّ كسرَ القلوب أليم!

لا تجزمْ أنَّ الحيَّ حيٌّ حتَّى تعلمَ ما في صدره!

كم من حيٍّ يعيشُ بين النَّاس وهو يحملُ جنازته!

نعم يعيش المرءُ دون حبيبه، ولكن سَلْهُ كيف يعيش!

23
أذهبُ إلى اللهِ، قبل أن يُناديني!

قال ابن الجوزيِّ في كتابه المدهش:
رأيتُ عجوزاً تتوضأ قبل الظهر بدقائق، فسألتها: هل أذَّن؟
فقالتْ: أنا أذهبُ إلى الله قبل أن يُناديني!
يا صاحبي: النَّاسُ إذا تملَّكَ الإيمانُ قلوبها صاروا غير النَّاس!
ما أذَّلَ بلال بن رباح كبرياء أُميَّةَ بن خلف إلَّا بالإيمان!
وما مرَّغت الماشطةُ أنفَ فرعون بالتُّرابِ إلَّا بالإيمان!
وما أمرَ صبيُّ الأخدود الملكَ ونهاهُ إلَّا بالإيمان!
وما هزم الصَّحابةُ الإمبراطوريات وقلبُوا الدُّنيا إلَّا بالإيمان!
الخنساءُ في الجاهلية بكت أخاها صخراً ردحاً من الزمن،
ولكن في القادسيَّة قَدَّمت أولادها الأربعة ولم تذرف دمعة،
الإيمان يقلبُ النّاسُ، يقلبُهم رأساً على عقب!

24
النِّساءُ في بيوتِ الصَّالحين ملِكات!

قال ابنُ الجوزيِّ في كتابه المدهش:

النِّســاءُ ودائـع الأحـرار، لا يُعِزُّهُـنَّ إلَّا عزيـز، ولا يُذلهـنَّ إلَّا ذليـل!

يا صاحبي: النِّساء في بيوت الصالحين ملِكات!
وقد كان الأوائل يقولون: لا نُسمِّي الرَّجل رَجُلاً،
حتَّى ننظرَ إلى زوجته أعزيزةٌ هي أم مُهانة!
الحرمان يقدِرُ عليه كلُّ أحدٍ وحدهم النُّبلاء يمنحون!
والعِقاب يقدرُ عليه كلُّ أحدٍ وحدهم النُّبلاء يعفون!
المرأة أمانةٌ وضعتْ عندكَ، وليستْ أَمَةً اشتريتها بمالك،
فإمَّا أن تحفظَ الأمانة، أو تردَّها إلى أهلها!

25

سيِّدُ قومِه المُتغابي!

قال ابنُ الجوزيِّ في كتابه صيدِ الخاطر:
من الحُمقِ أن تُبادر عدوّاً أو حسوداً بالمخاصمة،
وإنَّما ينبغي أن تُظهر ما يوجبُ السَّلامة بينكما،
إن اعتذرَ قبلتَ، وإن أخذَ في الخُصومة صفحتَ،
ثمَّ تُبطِنُ الحذرَ منه، فلا تَثِقْ به على أيّةِ حالٍ!
يا صاحبي: كان الأوائل يقولون: سيِّدُ قومِه المُتغابي!
وإنَّك لن تبلغَ كمال النُّضج حتَّى تمسكَ عن قولٍ ما يجب أن يُقال،
وتُهمِلَ ما يجب أن يكون لكَ تجاهه ردَّة فعلٍ!
وتزهد في عراكٍ كان يجب أن تخوضَه،
سلامُك النَّفسيُّ لا يُقدَّرُ بثمنٍ فلا تُفرِّط فيه،
افهَمْ كلَّ شيءٍ، وتَظاهرْ بأنّكَ لم تفهم!

26

العزاءُ للذين لم يعرِفُوا الحُبَّ!

قالَ ابنُ الجوزيِّ في كتابه ذمَّ الهوى:
ما زالَ الهوى يُذِلُّ أهل العِزِّ!
يا صاحبي: لا شيءَ قادرٌ على استعبادنا كالحُبِّ!
إنَّه السُّلطان المطاع، والقاضي الذي لا يُراجع في حكمه!
كم من فارسٍ خاضَ الحروب وهزمته نظرةُ عينٍ،
وكم من حكيم أذهبَتْ وقاره بحَّة صوت،
وكم من سُلطانٍ أقام السُّجون فقيَّدته بعد ذلك حسناء،
وكم من هادئٍ صار يغلي كالقِدر على النّار حين مسَّه الشّوق!
ورغم هذا ليس العزاء لهؤلاء الذين قلبَ الحُبُّ كيانهم،
العزاء، كلُّ العزاء، لأولئك الذين لم يعرفوا الحُبَّ يوماً!

27
ما نضجَ إلَّا بالتَّسبيح!

يروي ابن الجوزيِّ في كتابِه صِفة الصَّفوة،
أنَّ رابعة زوجة أحمد بن أبي الحواري كانتْ إذا طبختْ طعاماً،
قدَّمته لزوجها وقالت له: كُلْ يا سيِّدي، فما نضجَ إلَّا بالتَّسبيح!
يا صاحبي: الذِّكرُ لذَّةُ المُحبِّين!
أيسرُ عبادة، وألذُّ طاعة، وأسهل غنيمة!
أثناء قيادةِ السَّيَّارة مُتَّسع للتَّسبيح،
وأثناء تحريك طبخة على النَّار مكانٌ للاستغفار،
كان الحسنُ البصريُّ يقول: ما يضرُّ أحدكم إذا جلس فارغاً،
أن يقول للمَلَك: اُكتُبْ يرحمُك الله:
ثُمَّ يُمليه: سبحان الله، الحمدُ لله، الله أكبر!

28
بعضُ المواقفِ تختاركَ بدل أن تختارَها!

في كتابِ حليةِ الأولياءِ للأَصبهانيِّ:

قالَ محمد بن الحنفيَّة: ليس بحكيمٍ من لم يُعاشر بالمعروف،

من لا يجد بُدًّا من معاشرته، حتَّى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً!

يا صاحبي: هذه الدُّنيا لو كانت أسودَ وأبيض فقط لهانتْ!

ولكن للأسف إنَّ أوسع ألوانها ما كان رمادياً!

في أرحامٍ عليكَ أن تُراعيها كي لا تنقطع!

وفي زواجٍ عليك أن تتغاضى فيه كي يستمر!

وفي صداقاتٍ عليكَ أن تغضَّ الطرف فيها كي لا تبقى وحدك!

وفي أبواب أرزاقٍ عليكَ أن تتجاهل فيها كي لا تُسدَّ!

من النُّضح أن تعلم أن الكثير من مواقف الحياة تختارك بدل أن تختارها!

29

الأدَبُ قبل العِلم!

في كتابِ ترتيبِ المدارِكِ للقاضي عِياض:

قَالَ الإمامُ مالك، كانت أمِّي تُعمِّمني، وتقولُ لي:

اذهبْ إلى ربيعةَ، فتعلَّمْ أدبَه قَبل علمه!

يا صاحبي: نحن إلى قليلٍ من الأدبِ، أحوَجُ منَّا إلى كثيرٍ من العلم!

فما نُزِعَ الأدبُ من شيءٍ إلَّا غدا قبيحاً مهما كانت فِكرته جميلةَ!

العطاءُ بلا أدبٍ يُصبحُ إذلالاً للنَّاس!

والمُداخَلةُ الحِواريَّة بلا أدبٍ تُصبحُ وقاحةً!

والشّهادةُ بلا أدبٍ تُصبحُ تفاخراً،

والمنصِبُ بلا أدبٍ يُصبِحُ غروراً!

حتَّى الوجه الجميل إن لم يُزيِّنه صاحبه بالأدبِ غدا في العيون قبيحاً!

فزيِّن كلَّ نِعم الله بالأدبِ تزدان!

30

ليس كلُّ ما في القلبِ يُقال!

في كتابِ الزُّهد لهنَّادِ بن السَّريِّ:
كان الرَّبِيعُ بن خُثَيم يقول في دعائه:
أشكو إليكَ حاجةً لَا يُحَسنُ بثُّها إلَّا إليك!
يا صاحبي: ليس كلُّ ما في القلب يُقال!
هناك خيباتٌ لا تُحكى عليك أن تتجرَّعها وحدكَ،
وهناك جروحٌ لا تُكشف عليك أن تداريها وحدك،
وهناك دموعٌ لا تُشارك عليك أن تذرفها وحدكَ،
ولأجل هذا خلق الله تعالى السُّجود والدُّعاء،
انكسر لله على سجَّادة صلاتك، ابكِ ولا تتجلَّد على ربِّك،
ثمَّ امسحْ دموعك، وخبِّئ جروحك، واخرُجْ بهيًّا للنَّاس!

31
الذي يجري في عُروقِكَ دمٌ وليس ماءً!

قال ابنُ أبي الدُّنيا في كتابه مكارم الأخلاق:
تعلَّمنا أنَّه ما من خطوةٍ بعد الفريضة أعظمُ أجراً،
من خطوةٍ إلى ذي رحِم!
يا صاحبي، صِلْ رحِمك، وتفقَّدْ أقاربك،
لا تجعل نفسك غصناً مقطوعاً من شجرة،
ولا تجعل الدَّم الذي يجري في عروقكَ ماءً!
إنَّ الله تعالى حين فرغَ من خلقِ الخلق،
قامت الرَّحِم فقالت: هذا مقامُ العائذِ بك من القطيعة!
فقال لها ربُّنا: نعم، أما ترضَينَ أن أصِلَ من وصلك، وأقطع من قطعك؟
قالت: بلى.
فقالَ: ذلكَ لكِ!


بغير الحُبِّ ما الحبيب
إلَّا واحدٌ من النَّاس،
وبالحُبِّ يصبحُ الحبيبُ
كلَّ النَّاس!

32
المَلافِظُ سَعدٌ!

في كتاب حِليةِ الأولياءِ للأصبهانيِّ:
قال سُفيان بن عُيَينة: جلستُ إلى عمرو بن دِينارٍ سنين،
ما قال لي كلمةً تسوؤني قط!
يا صاحبي: كما تمشي على رؤوسِ أصابعك كي لا تزعج نائماً،
امشِ على رُؤوس كلماتكَ كي لا تكسر خاطراً!
رُبَّ كلمةٍ أفسدتْ يوم إنسانٍ بطولِه وعرضِه!
ورُبَّ كلمةٍ كانتْ أوجع من ضربةِ سوطٍ!
كان نبيّاً ذاك الذي قال له ربُّه:
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾
هذا وهو نبيٌّ، فما بالك بمن هم دونه، وكلّنا دونه!
ومن أجمل ما قالت العرب: الملافِظُ سعدٌ!

33
لا إفراطَ ولا تفريطِ!

في كتابِ الزُّهدِ للإمام أحمد:
قالَ الحسنُ البصريُّ: وُضِع دينُ الله عز وجل، دون الغُلُوِّ، وفوقَ التَّقصِيرِ!
يا صاحبي: اُنظُر إلى كلِّ خُلِقٍ دعا إليه الإسلام،
تجده فضيلةً بين رذيلتين!
الشَّجاعةُ التي دعا إليها الإسلامُ هي بين الجُبنِ والتَّهورِ!
والكرمُ الذي دعا إليه الإسلامُ هو بين البُخلِ والإسرافِ!
والطُّموحُ الذي دعا إليه الإسلامُ هو بين الاستسلام والطَّمع!
والعفَّةُ التي دعا إليها الإسلامُ هي بين الرَّهبانيَّة والانحلال!
الإسلام دين الوسطيَّة، لا إفراط ولا تفريط،
تجده دوماً بين العقلِ والقلبِ، وبين الجسد والرُّوح!
العقلُ دون قلبٍ يقسو، والقلبُ دون عقلٍ يزيغ!
والجسدُ دون روحٍ حيوانٌ مفترسٌ، والروحُ دون جسدٍ شبح!

34

في يدِكَ لا في قلبِكَ!

في سِيَر أعلام النَّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:

قال الحسنُ البَصريُّ: ما أعزَّ أحدٌ الدِّرهمَ إلَّا أذلَّه اللّٰه!

يا صاحبي: من أجملَ ما قالَ الأوائلُ: المالُ أفضل خادمٍ وأسوأ سيِّدٍ!

وهم بهذا يعنُون أنَّه وسيلةٌ لا غاية!

فمن وضعَ المالَ تحت قدميه رفعَه، ومن وضعه فوق رأسِه خفضَه!

كان الصَّالحُون يفرحون بالمال لأنَّه يصون وجوههم عن السُّؤال،

ولكنَّهم لم يكونوا يعبدونه!

إنَّ الزُّهدَ ليس ألا يكون عندكَ مالٌ، فهذا هو الفقرُ!

الزُّهدُ أن يكونَ المالُ في يدِكَ لا في قلبك!

فمن كان المالُ في قلبه فليسَ زاهداً ولو لم يملك منه شيئاً،

ومن كان المالُ في يدِه فهو زاهدٌ ولو ملَك الدُّنيا!

35
الكلامُ أناقةٌ أيضاً!

قالَ الإمامُ الذَّهبيُّ في كتَابه سِيَر أعلام النُّبلاء:
سِلاحُ اللئام قبحُ الكلام!
يا صاحبيَ: كان الصالحون يتخيَّرُون ألفاظَهم كما يتخيَّرُون ثيابهم،
لأنَّهم كانُوا يعرِفُون أنَّ الكلامَ أناقةٌ أيضاً!
قال المُزنيُّ: سمعني الشَّافعيُّ وأنا أقول: فلان كذَّاب!
فقال لي: يا أبا إبراهيم، أُكسُ ألفاظكَ أحسنها،
لا تقل: فلانٌ كَذَّاب، ولكن قُلْ: حديثه ليس بشيء!
وكان اللُغويُّ البارع «ابن جنِّيٍّ» أعور العين اليمنى،
وحين ترجمَ له ياقوتُ الحمويِّ، لم يقل: كان أعور،
وإنَّما قال: كان ممتَّعاً بإحدى عينيه!
وسأل هارون الرَّشيد ابنه المأمون: ما جمع مِسْواك؟
فقال له: ضدُّ محاسنك يا أمير المؤمنين! ولم يقل له مساويك!

36

ضَعْ يدكَ على مكامنِ الخَلل!

في البدايةِ والنِّهايةِ لابن كثير:

قال إياسُ بن معاوية: كلُّ من لا يعرفُ عيبَ نفسِه فهو أحمق!

فقيل له: فما عيبُكَ؟

قال: كثرة الكلام!

يا صاحبي: كلُّ إنسانٍ أَخبَرُ بنفسه،

ضَعْ يدَكَ على مكامنِ الخلل فيك توشك أن تنصلح!

أسوأُ جزءٍ في المشكلة ألا نرى المشكلة،

المرَضُ الذي لا يتمُّ تشخيصه لن يبرأ!

لا تُجامِل نفسكَ، بل عاملها كما تعامل ابنك،

تحبُّهُ، ولكنَّك لا ترضى منه الخطأ!

أحِبَّ نفسك، وقدِّرها، ولكن قوِّمها ولا ترضَ منها الخطأ!

37
الذُّنُوب ثُقوبُ الرُّوح!

في البدايةِ والنِّهايةِ لابن كثير:

قيل لسعيد بن جُبير: من أعبدُ النَّاس؟

فقال: رجلٌ اقترفَ ذنباً، فَكلَّما ذكرَ ذنبه احتقرَ عمله، وانكسرَ لربِّه!

يا صاحبي: كان ابن عطاء يقول:

رُبَّ ذُنْبٍ أورث ذُلاً وانكساراً، خيرٌ من طاعةٍ أورثتْ عُجباً واستكباراً!

يا صاحبي: أحياناً من رحمة الله بعبده أن يكسره بذنبٍ،

ليستخرج منه داء العُجب والكِبْر،

ولولا هذا الذَّنب لمشى في النَّاس كالطاووس معجباً بنفسه،

إنَّ جبرَ الله لقلبِ عبده يكون من حيث كُسِرَ!

وإنَّ العاقل إذا رأى ثقباً في ثوبه،

انشغل بإصلاحه عن النَّظر في ثقوبِ ثياب النَّاس،

الذُّنوب ثقوب الرُّوح، فَارْتَأ ثقوبَ روحك!

38

الكثيرُ من الحقيقة يُقال أثناء المزاح!

قال ابن تيميَّة في كتابه مجموع الفتاوى:
ما أسرَّ أحدٌ سريرةَ خيرٍ أو شرٍّ،
إلَّا أظهرها الله على صفحات وجهه، وفلتاتِ لسانه!
يا صاحبي: الكثيرُ من الحقيقة يُقال أثناء المزاح!
والكثيرُ من الصَّفعِ يأتي على هيئةِ نُكتة!
في تعابير الوجهِ شماتةٌ تُغنيكَ عن الكلمات،
وفي بعض النُّصحِ تحريضٌ فانتبه جيّداً،
وحيثما استراح قلبك فألْقِ رَحْلكَ فهذا مقامكَ،
كان عبد الله بن سلام حبراً من أحبار يهود،
فجاء ليرى النَّبيَّ ﷺ يوم مقدمه إلى المدينة،
يقول عبد الله بن سلام عن هذه اللحظة بعدما أسلم:
أول ما رأيته علمتُ أنَّ هذا الوجه ليس وجه كذَّاب!

39
النَّاسُ يُجيدون ادِّعاء المظلومِيَّة!

في كتاب سِيَر أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ،
قال الشَّعبيُّ شهدت شُرَيحاً القاضي وقد جاءته امرأةٌ تخاصم رجلاً،
فأرسلتْ عينها تبكي بكاءً شديداً،
فقلتُ: يا أبا أُميّة، ما أظنُّ هذه البائسة إلَّا مظلومة!
فقال لي: يا شعبيُّ، إنَّ إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاءً يبكون!
يا صاحبي: النَّاسُ يُجيدون ادِّعاء المظلومِيَّة فلا تنخدع!
تصبرُ على أذاهم أعواماً، فإذا انفجرتَ صِرتَ أنتَ الظَّالم!
يستدينون وينسون، فإذا طالبتَ صرتَ أنتَ قليل الأصل!
يصفعونك، فإذا رددَّتها عليهم صِرتَ أنتَ المُعتدي!
الرُّوس عندهم مثل جميل يقولون فيه:
اليهوديُ يخبرك دوماً ماذا فعل النَّاس به، ولكن لا يخبرك لماذا!
للأسف على ما يبدو أنَّ هذه الخِصلة ليست حكراً على اليهود!

40
أنتَ عبدٌ فتأدَّبْ!

في كتابِ زهرِ الآدابِ وثمرِ الألباب للقيراونيِّ:
قال قُتيبة بن سعيد: دخلتُ بعض أحياء العرَب،
فإذا الأرض مملوءة من الإبل الميتة!
فسألتُ عجوزاً: لمن هذه الإبل؟
فأشارتْ لي إلى شيخ يغزل الصُّوف،
فأتيته، وقلت له: ما أًصاب إبلك؟
فقال: ارتجعها الذي أعطاها!
يا صاحبي: لا شيءَ أجمل من الأدب مع الله!
تأدَّبْ في بلائك، تَوَجَّعْ بالحمد، وزيِّن أنينك بالاستغفار،
هو ربٌّ، يقضي ما يشاءُ، ويعطي ويمنعُ ما يشاءُ، أمّا أنتَ عبدٌ، فتَأَدَّبْ!

41

لا تنسَ من بيده المفاتيح!

في سِيَر أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:
دخل سُوار القاضي على الأمير محمد بن طاهر وقال له:
أيُّها الأمير: إنِّي جئتُ في حاجةٍ رفعتها إلى الله عزَّ وجلَّ، قبل أن أرفعها إليك!

فإن قضيتها حمدنا الله، وشكرناك،
وإن لم تقضها حمدنا الله، وعذرناك!
فقضى له جميع حوائجه!
يا صاحبي: إنّ من عِزَّة الله أنَّه أحاج النَّاس إلى النَّاس،
واستغنى سبحانه عن الجميع!
لا بأس أن تطرق الأبواب، ولكن لا تنسَ من بيده المفاتيح!
اسعَ إلى الوظيفة ولكن لا تنسى أن الرَّازق هو الله،
واذهبْ إلى الأطباء ولكن تذكَّر أن الشافي هو الله،
أنزِلْ حاجتك بالنَّاس، ولكن قبل ذلك اطلبها من الله!

42

المَنُّ ممحاةُ الإحسان!

في سِيَر أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:

سمعَ محمد بن سيرين رجلاً يقولُ لآخر: أحسنتُ إليكَ، وفُعلتُ، وفعلتُ!

فقال له ابن سيرين: اُسكُتْ، لا خير في المعروف إذا أُحصيَ!

يا صاحبي: من أجمل ما قالت العرب: المَنُّ ممحاةُ الإحسان!

وأجملُ منه قول ربِّنا: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لا تُبطِلوا صَدَقاتِكُم بِالمَنِّ وَالأَذى﴾

النَّاس قبل أن يكون لهم حاجاتٌ فإنَّ لهم كراماتٌ!

وأن تمنعَ من غير أذى، خيرٌ من أن تُعطِيَ وتُؤذي!

إنَّ صاحب الحاجة فيه انكسار نفسٍ فرممها بأدب العطاء،

فإنَّ إراقةِ كرامة إنسانٍ هي كإراقةِ دمه!

43
أُفَكِّرُ كَيفَ أُجيبكَ!

في كتاب المعرفة والتَّاريخ للإمام الفسَويِّ:
سُئِلَ أيُّوب السِّختيانيُّ عن مسألةٍ فسكت،
فقال الرَّجل: يا أبا بكرٍ إن لم تفهم أعدتُ عليكَ!
فقال له أيُّوب: قَد فهمتُ، ولكنِّي أُفكِّر كيف أجيبك!

يا صاحبي: هذه المقولة من أجمل ما قيل في فنِّ التَّدريس!
أُفكِّرُ كيف أُجيبك!
العقول كالأموال أرزاق، والنَّاس في الفَهم غنيٌّ وفقيرٌ وبين بين!
العقيدةُ لا تُشرح للطِّفل كما تُشرح في كليَّات الشريعة،
ونصحُ الغنيِّ في مسألة تختلف عن نصح الفقير في مثلها،
راعِ عقول الناس وإمكاناتهم حين تتحدث معهم،
جثا النَّبيُّ ﷺ يوماً على ركبتيه،
وقال لطفلٍ صغير يسأله عن عصفوره: يا أبا عُمير ما فعل النُّغير!
النُّزول إلى مستويات النَّاس من أدب الأنبياء!

44

المالُ في اليد عِزٌّ!

في كتابِ صلاحِ المالِ لابن أبي الدُّنيا:

قال أيُّوب السِّختيانيُّ: كان أبو قلابة يأمرني بلزوم السُّوقِ والصَّنعة،

ويقول: إنَّ الغنى من العافية!

يا صاحبي: إنَّ سِرَّ الحياة في التوازن!

ألا تُقبل على الوظيفة والعمل كأنَّك خُلقت للحراثة،

وألا تُهمل الوظيفة والعمل كأنَّما السَّماءُ تمَطِرُ مالاً!

إنَّ المال في اليدِ عِزٌّ، وقيمة المرءِ بما يُعطي!

قعد شقيق البلخيُّ عن العمل، فسأله إبراهيم بن أدهم: لِمَ؟

فقال: رأيتُ في الصحراء طيراً مكسور الجناح لا يقوى على الحركة،

فجاء طائرٌ صحيح فألقى جرادةً في فمه!

فقلتُ: إنَّ الذي سخَّر للطير مكسور الجناح سيخسر لي خلقه!

فقال له إبراهيم: ولمَ لا تكون أنتَ الطائر صحيح الجناح؟

أما بلغك قول النَّبيِّ ﷺ: اليدُ العليا خيرٌ من اليد السُّفلى؟!

45
ليهْنِكَ الطُّهر!

في كتاب الزُّهد للإمام أحمد بن حنبل:
كانوا يقولون للرَّجل إذا برِئَ من مرضه: ليهْنِكَ الطُّهرُ!
يا صاحبي: المرض أحد هبات الله للنّاس!
سبحانه يبتلينا بالمرض ليغفر لنا ذنوباً،
ما كنا لنبلغ غفرانها بطاعاتنا!
ويبتلينا بالمرض ليرقِّق لنا قلوبنا،
فالمرض أصغر رسالة للإنسان مفادها: ما أضعفك!
ويبتلينا بالمرض ليُقرِّبنا، ثمَّة منازل في الجنّة لا تُبلَغُ إلَّا بالبلاء!
ويبتلينا بالمرض لأنّه رآنا نبتعدُ عنه فيريد أن يعيدنا إليه،
أرأيت روعة المشهد حين تتأمله بعقيدتك،
تخيَّل أنَّ ربَّ السماوات والأرض يغار على قلبك!

46
لا نُحْوِجه لأحدٍ!

في كتاب المقاصد الحسنة للإمام السَّخاوي:

قال سعيد بن جُبير في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

أي لا نُحْوِجُه لأحدٍ!

يا صاحبي: إنّ الحاجة إلى النَّاس مذلّة،

فادعُ الله دوماً أن يجعل أمرك إليه لا إلى النَّاس،

فرقٌ كبير بين من كان مالك تجارته أو مهنته،

وبين من يضطر أن ينحني ويُداهن ليكسب عيشه،

حاول أن يكون لك دخلٌ تملكه ولا يملكك،

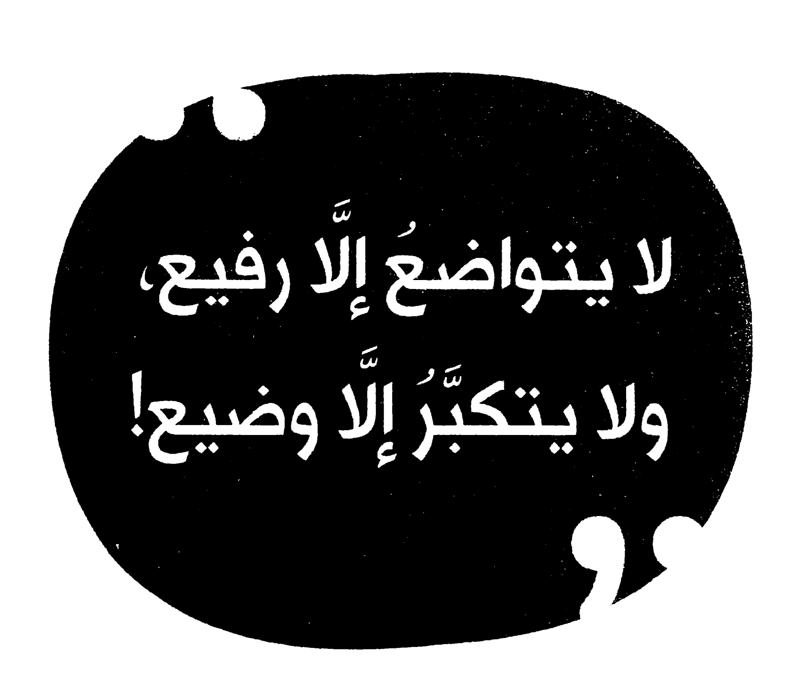
ولو استطعت أن يكون لك مصدر دخلٍ غير الوظائف العامة فافعلْ،

الوظائفُ في الغالب لا تُحقِّقُ رغدَ العيش،

وتُبقيكَ فوق الحاجة قليلاً، وتحتَ البحبوحةِ كثيراً!

47
درسٌ للعُمرِ كلِّه!

في البدايةِ والنِّهايةِ لابن كثير:
منعَ الخليفةُ هشام بن عبد الملك ابناً له من ركوب الدّابة سنة،
عقاباً له على عدم حضوره صلاة الجمعة،
بحجة موت دابته وليس باستطاعته حضور الصَّلاة ماشياً!
يا صاحبي: إنّ موقفاً واحداً يصلح أن يكون درساً للعمر كلّه،
ليس كل ما يخطئُ به الأبناء ينفع معه التغاضي،
لتربح ابنك عليك أن تضغط على قلبك وتضع له حدّاً!
غاب عمر بن عبد العزيز عن صلاة الجماعة يوماً حين كان طفلاً،
فسأله شيخه عطاء بن يسار عن هذا،
فأخبره أن خادمته كانت تُسرِّح له شعره،
فكتب عطاء من المدينة المنوَّرة، إلى عبد العزيز في الشَّام،
فكتب إليه عبد العزيز: اِحلقْ له شعره الذي أشغله عن الصَّلاة!
أرأيتَ كيف أنَّ العظماء لا يولدون عظماءَ وإنَّما يُصنعون!


لا يتواضعُ إلَّا رفيع،
ولا يتكبَّرُ إلَّا وضيع!

48
قضاء حوائج النَّاس عبادة!

في سير أعلام النُّبلاء للإمام الذّهبيّ:

كان زُبيد اليامي يطوف على عجائز الحيِّ في الليلة المطيرة،

يقول لهنَّ: ألكم في السُّوق حاجة فنقضيها؟!

يا صاحبي: قضاء حوائج النَّاس عبادة!

ألم تسمعْ قول نبيِّك ﷺ: لأن أمشي مع أخٍ لي في حاجة،

أحبُّ إليّ من أن أعتكف شهراً في مسجديٍ هذا!

يا صاحبي: من عاش يقضي حوائج النَّاس قضى الله حوائجه!

واعلم أنّ حوائج النَّاس مقضيّة بك أو بغيرك،

ولكن عندما يصطفيك الله تعالى لقضاء حوائج النَّاس،

فإنَّ فضله عليك أكبر بكثير من فضلك على النَّاس!

ولا تقلْ: فلانٌ لا يعرفني إلَّا عند الحاجة،

ولكن قُلْ: الحمد لله الذي سخرني لقضاء حوائج النَّاس!

49

كفُّ الأذى عن النّاسِ عبادة!

في كتاب تنبيه الغافلين للسمرقنديِّ:

قال يحي بن معاذ: ليكنْ حظُّ المؤمن منك ثلاثاً:

إن لـم تنفعـه فـلا تضـرُّه، وإن لـم تُفرحـه فـلا تغمُّـهُ، وإن لـم تمدحـه فـلا تذمُّـه!

يا صاحبي: كفُّ الأذى عن النَّاس عبادة!

إن لم تستطعْ قول الحقِّ فلا تُصفِّق للباطل!

وإن لم تستطع أن تجاري التَّصرف النَّبيل فلا تنتقص منه،

وان لم تستطع أن تزاحم الطائعين فلا تقع فيهم،

وان لـم تجـاري المحجبـة فـي حجابهـا فـلا تقولـي عنهـا مُعقّـدة،

وإن لـم تدلـل زوجتـك فـلا تتهـم مـن يدللهـا بأنَّـه ضعيـف الشَّـخصيّة،

يكفيك رذيلة ألَّا تفعل الصَّواب،

فلا تجعل لك رذيلتين: ترك الصّواب، وذمُّ فاعليه!

50
الأصدقاءُ قَرابة!

في سِيَرِ أعلامِ النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:
قال القاسِمُ بنَ محمد بن أبي بكر الصِّديق:
جعل الله في الصَّديق البارِّ المُقبل، عِوضاً من ذي الرَّحم العاقِّ المُدبِر!
يا صاحبي: الأصدقاءُ الصالحون قرابة،
لا من جهة الأمِّ، ولا من جهة الأب، وإنَّما من جهة القلب!
قد يُجافيكَ قريبٌ فيعوِّضُكَ الله عنه بصديق،
وقد يكسرك رحِمُك فيجبرك الله بخليل،
النَّاس كإبل المئة لا تكاد تجد فيها راحلة!
هكذا قال سيِّدنا،
فإذا عثرتَ على راحلةٍ فالزمها،
من لم يكن له صديقٌ نادرٌ تغرَّب ولو كان بين أهله!

51
عقوبات الذُّنوب!

في سيرِ أعلامِ النُّبلاءِ للإمامِ الذّهبيِّ،
قال الفُضيل بَن عياض: إني لَأعصي الله،
فأعرف ذلكَ في خلق حماري وخادمي!
يا صاحبي: كلُّ ذنبٍ لا بُدّ له من عقوبةٍ،
ولكننا نحسب أن العقوبات في تضييقِ الأرزاق فقط!
إنّ من عقوبات الذُّنوب أن ينزع الله قبولك من صدور النَّاس،
وأن يزيل عنك البركة من الوقت فلا يكفيك لتُنجز،
ويزيل عنك البركة من المال فلا يكفيك كثيره،
ويُقسّي عليك قلوب الخلق وقد كانت من قبل ليِّنة لك!
تظنُّ أنّك لا تعاقب بالذّنب وقد حُرمتَ القيام، وورد القرآن، ورطوبة اللسان بالذِّكر!
تظنُ أنّك لا تُعاقب لأنّ رزقَك قدِ سَلمَ،
أيُ عقوبةٍ أقسى من أن يُغلق الله عنك باب طاعته؟!

52
من المِحْبرةِ إلى المِقبرة!

في سيرِ أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:

قيل لعبدِ الله بن المبارك: إلى متى تكتبُ العِلمَ؟

فقالَ: لعلَّ الكلمةَ التي أنتفعُ بها لم أكتبها بعد!

يا صاحبي: اثنان لا يشبعان: طالبُ علم وطالبُ مال!

فأمّا طالبُ المالِ كالشَّارب من ماءِ البحرِ،

كلّما شربَ أكثر ازداد عطشاً!

وأمّا طالبُ العلم فكلّما أخذَ من العلم،

اكتشفَ مساحةَ الجهلِ فيه!

سُئلَ الإمام أحمد: إلى متى تطلبُ العلمَ وقد صرتَ إماماً للمسلمين؟

فقال: من المِحْبرة إلى المِقبرة!

53
الدُّعاءُ بحدِّ ذاتِه عبادة!

قال ابنُ الجوزيِّ في كتابِه صيد الخاطر:
إذا جاءكَ إبليسُ فقالِ لكَ: كم تدعوه ولا تجد إجابة؟!
فقُلْ له: أنا أتعبَّدُ اللّه بالدُّعاء!
يا صاحبي: لربما لم يعطِك اللّهُ لأنّه يُحبُّ أن يسمعَ صوتكَ!
ولربما لم يُعطك لأنَّ الأوان لم يحِن بعد،
إنّ اللّه يجيب الدّعوات في أفضل الأزمنة لا في أسرعها!
ولربما لم يُعطكَ لأنَّه يعلم أن صلاح أمرك في ألا تُعطى!
يا صاحبي: لا خيبات مع الدُّعاء،
فهو إما مُجاب، أو مدفوعٌ به أذى، أو أجرٌ مُدَّخر!
الدُّعاء بحدّ ذاته عبادة سواء أُعطيتَ أم لم تُعط!

54
القبورُ صناديقُ الأعمال!

في كتابِ حليةِ الأولياء للأصبهانيِّ:
قال سُفيان الثوريُّ: عليكَ بكثرةِ المعروف،
يُؤنسكَ الله به في قبركَ!
يا صاحبي: الحالُ في القبورِ نسخة عن الحالِ في الصُّدور!
وما عُبِدَ الله تعالى بشيءٍ أحبُّ إليه من قضاء حوائجِ النَّاس،
القبرُ معتمٌ فأنره بكثرةِ الصّدقة،
القبرُ موحشٌ فآنسه بجبرِ خواطر النّاس،
القبرُ بارد فدفئه بصِلةِ الرّحم،
القبرُ مخيفٌ فأمّنه بحسنِ الخلق مع النَّاس،
القبورُ صناديق الأعمال، فاملأ صندوقكَ بما يسرُّكَ غداً!

55
الدُّنيا باختصارٍ: زوجةٌ وصديق!

في كتاب أدب النِّساء للألبيريِّ:

قال لقمان الحكيمُ لابنه: اتَّخِذْ امرأةً صالحةً وصديقاً صالحاً،

تستريحُ إلى المرأة الصَّالحة، إذا دخلتَ إليها،

وتستريحُ إلى الصاحبِ الصَّالحِ، إذا خرجتَ إليه!

يا صاحبي: إنْ صفا لك زوجَةٌ وصديقٌ، فما يضرُّك بعد ذلك ما تكدّر!

وإن تعكّرَ لكَ زوجةٌ وصديقٌ، فلن يسعدكَ بعد ذلك ما صفا لك!

الذي لن يجد سعادته في البيتِ لن يجدها في مكانٍ آخر،

والذي يفقد الطمأنينة مع أصدقائه فلن يطمئن مع غيرهم،

كان شقيق البلخيُّ يقول لزوجته:

إذا كنتِ معي ما ضرَّني لو أنَّ كلّ أهل بلخ كانوا ضدِّي،

وإذا كنت ضدِّي ما نفعني لو أنَ كلَّ أهل بلخٍ كانوا معي!

56
وإن ابتلَى، فطَالمَا عافى!

في كتابِ عُدّة الصَّابرين لابن القيِّم:

قال سُفيان الثَّوريُ: أدركنا السَّلفَ وهم يقولون:

ليس فقيهاً من لم يَعُدَّ البلاءَ نعمةً، والرّخاء مصيبةَ!

يا صاحبي: لا ترَ في البلاءِ غير البلاء!

أن يعُطى الإنسانُ البلاءَ مع الصّبر،

خيرٌ له من أن يُعطى العافيةَ مع عدم الشُّكر!

هو الله، فإن أخذَ، فطالما أعطى، وإن ابتلى، فطالما عافى،

وكم من بلاء كان سبباً في الإقبال على الله.

ذلك أنَّ البلاء يُرققُ القلب، ويُهذِّب النَّفس!

وكم من نعمة كانت سبباً في الابتعاد عن الله، ذلك أن الدُّنيا مشغلة لأهلها!

فإن أُعطيتَ فاشكُرْ، وإن مُنعتَ فاصبرْ!

57
المواقِفُ غِرْبَالُ النَّاس!

في كتابِ أدبِ الدِّين والدُّنيا للماورديِّ:

قالت الحكماء: اعرِفِ النَّاسَ من فعلهم لا من كلامهم!

يا صاحبي: المواقِفُ غربال النَّاس!

ما أسهلَ الحديثَ عن الشَّجاعة بعيداً عن ميدان المعركة،

وما أسهلَ الحديثَ عن الصَّبر حين لا تكون المصيبة مصيبتك،

وما أسهلَ الحديثَ عن العفّة ما دُمتَ لم تُختبر،

وما أسهل الحديث عن الأمانة ما دُمتَ لم تُؤتمَن!

خُذِ الحقيقةَ من أفواهِ المواقف، أمّا في الكلامِ فالجميعُ فلاسفة!

58

ذلكَ شيءٌ لم أجعله لنفسِي!

في سِيَرِ أعلام النُّبلاءِ للإمام الذَّهبيّ:
قال الإمامُ الأوزاعيُّ: قلتُ لرجلٍ: أريدُ بيتاً بجوارِ أناسٍ،
لا يغتابُون، ولا يحسِدُون، ولا يُبغِضون!
فأخذَ بيدي إلى المقبرةِ وقال: هنا تجدهم!
يا صاحبي: من ظنّ أن يسلمَ من النَّاس فهو واهم،
وإنَّ اعتقادكَ أنّ النَاس لن يؤذوك لأنَّك لم تؤذهم،
هو كاعتقادك أنَّ الأسد لن يفترسك لأنَّك نباتي!
لا الأنبياء سلموا من النَّاس، ولا الله، أتريدُ أن تسلمَ أنتَ؟!
جاءَ في الأثرِ أنَّ موسى عليه السَّلام دعا ربّه فقال:
يا ربِّ أسألك ألا يذكرني النَّاسُ بسوءٍ!
فقال له الله: ذلك شيءٌ لم أجعله لنفسي فكيف أجعله لكَ؟!

59
الصّداقةُ بالمودَةِ لا بالمُدَّة!

في سِيَرِ أعلام النُّبلاءِ للإمام الذَّهبيِّ:
قال الإمامُ الأوزاعيُّ: كتبَ إليَّ قتادة من البصرة:
إنْ كانت الدّارُ فَرَّقتْ بيننا وبينك،
فإنَّ أُلفة الإسلام بين أهلها جامعة!
يا صاحبي: إذا صفتِ القلوبُ، فلا يضرُّها قلّة اللقاء،
وإذا تكدّرت لن ينفعها قضاء كلِّ العمر معاً!
كان الإمام أحمد يقول:
إنّ لنا إخواناً لا نراهم في العام إلّا مرَّةً أو مرَّتين،
نحن أوثق بمحبَّتهم ممن نراهم كلَّ يوم!
يا صاحبي: إنّ الصّداقة بالمودّة لا بالمدّة، وبالنّقاء لا باللقاء!

60

صنائِعُ المعروفِ تقي مصارعَ السُّوءِ!

قال ابنُ القيِّم في كتابِه إغاثة اللهفان!
وقد شاهدَ النّاسُ عياناً أنَّه: من عاشَ بالمكرِ، ماتَ بالفقرِ!
يا صاحبي: صنائعُ المعروفِ تقي مصارعَ السُّوءِ!
هذه الحقيقة يعرفها النَّاس بالتَّجربةِ ولا تحتاج إلى دِين!
عندما حدّث النَّبيُّ ﷺ خديجةَ عن نزول الوحي،
قال لها: قد خشيتُ على نفسي!
فقالت له: كلا، واللّه لا يُخزيكَ اللّه أبداً،
إنَّك لتصل الرّحم، وتصدق الحديث، وتحملُ الكَلَّ
وتقري الضَّيف، وتُعين على نوائب الحقّ!
لم تكن خديجة يومها تعرف من الإسلام شيئاً!
ولكنَها كانت تعرف أنّه لا أحد أوفى من اللّه!

61
الذَّنبُ يأتي بالفقرِ!

قال ابنُ القيِّم في كتابه الدّاء والدّواء:
ما استُجلبَ رزقٌ بمثل تركِ المعاصي!
يا صاحبي: الذّنب يأتي بالفقرِ، والتَّوبة تأتي بالرِّزق!
جاء في الأثر أن موسى عليه السَّلام قد خرج ببني إسرائيل،
إلى صلاة الاستسقاء، فصلَّى بهم فلم يمطروا!
فأوحى الله تعالى إليه أنّ فيكم عبداً عاصياً!
فطلب موسى عليه السَّلام من بني اسرائيل أن يخرج العاصي من بينهم!
لم يخرجْ أحد، ولكن المطرَ بعد لحظاتٍ انهمر!
فسأل موسى عليه السَّلام ربّه عن هذا!
فقال له ربّه: لقد تابَ بيني وبينه!
فقال موسى عليه السَّلام: من هو يا ربِّ؟
فقال له الله: سترته عاصياً، فلا أفضحه تائباً!
خلاصة الكلام: أنَّ أمَّةً كاملةً حُرمت المطر بالذَّنب، وأمطرت بالتَّوبة!

62

تركتُ الحسدَ فبقيَ الجَسَد!

قال ابنُ القيّم في كتابِه مدارج السّالكين:

ليس للقلبِ أنفع من معاملةِ النَّاس باللطف، وحبِّ الخيرِ لهم!

يا صاحبي: إنَّ شرَّ ما يُملأ به القلبُ هو الحسد!

وقد تعتقد أنَّ مشكلةَ الحاسدِ هي بينه وبين النّاس،

والحقيقة أنَّ مشكلته هي بينه وبين الله، إذ لم يرضَ بقدره!

أوَّلُ ذنبٍ عُصي به الله في السّماء هو الحسد!

ما رفض إبليس السُّجود لأدم إلَّا لأنَّه رأى أنّه خير منه!

وأوَّلُ ذنب عُصيَ به الله في الأرضِ هو الحسد!

ما قتل هابيل أخاه قابيل إلّا لأنَّه رأى أنّه الأفضل!

الحاسد لا يهنأ بعيشٍ لأنَّ فقره في قلبه، وتاركُ الحسدِ هانئ!

يقول الأصمعيُّ: رأيتُ بالبادية رجلاً له من العمر مئةً وعشرين سنة،

فسألته عن هذا النَّشاط في مثل هذا العمر!

فقال: تركتُ الحسدَ فبقيَ الجسد!

63
الحُزْنُ يأكلُ الإنسان!

قال ابنُ القيِّم في كتابِه طريقُ الهجرتين:
الحزنُ يُضعِفُ القَلبَ، ويوهِنُ العزمَ، ويضُّرُ الإرادة،
ولا شيءَ أحبُّ إلى الشَّيطان من حزن المؤمن، فتفاءلوا بالخيرِ تجدوه!
يا صاحبي: نحن نُشرِقُ من الدّاخل، وننطفئُ من الدّاخل!
فأصلِحْ ما في داخلك، ينصلحُ العَالمُ في عينيك!
الحزن يأكلُ الإنسان حرفياً لا مجازاً!
وأمراض النَّاس من الأشياءِ التي تأكلهم لا من الأشياء التي يأكلونها!
الحزين لا يأنس بصحبةٍ، ولا يستلذُّ بأكلة،
بل وقد يجعلُ الحزنَ الطعام ينزلُ على المعدة كالسّم!
الأيام تتقلَّب، وكلنا نحزن، ولكن هناك فارقٌ،
بين من جعل الحزنَ ضيفاً عابراً، ومن جعله مقيماً!
قُمْ وأنفُض غبار الحزن عن قلبك فلستَ الوحيد، كلُّنا مُصاب!


بعض النَّاس لن
تكرههم ولو نشروك
بالمناشير!

64
الصَّغائِرُ بريدُ الكبائر!

قال ابنُ القيمِّ فِي كتابه بديع الفوائد:
لا تحقرنَّ يسيرَ المعاصي،
فالعشبُ الضَّعيف يُفتَلُ منه حبالٌ تجَرُّ السُّفن!
يا صاحبي: الصَّغائر بريدُ الكبائر!
إنَّ الله تعالى لم يقلْ لنا: لا تزْنُوا!
وإنَّما قال لنا: ولا تقربوا الزِّنى!
لا أحد يزني من أوَّلِ مرَّة!
هنـاك نظـرةٌ، واختـلاطٌ، وحديـثٌ، وانبسـاطٌ، ثـمَّ تتدحـرج الأمـورُ!
فادفعِ الصَّغيرةَ تنْجُ من الكبيرة،
ولا تحقرنَّ صغيرةً، فإنَّ الجبالَ من الحصى!

65

الحُبُّ فِعلٌ يُرى، لا كلمةَ تُقال!

قال ابن القيِّم في كتابه روضةِ المحبِّين ونزهةِ المشتاقين:
ففرقٌ بيـن مـن يقـول لـكَ بلسـانه: إنـي أُحبُّـك، ولا شـاهدَ عليـه مـن حالـه،
وبين من هو ساكتٌ لا يتكلَّمُ وأنتَ ترى شواهد أحواله،
كلُّها ناطقةٌ بحبِّه لكَ!
يا صاحبي: الحبُّ فِعلٌ يُرى لا كلمةٌ تُقال!
صحيح أنَّنا نحبُّ أن نسمعَ كلمة أحبُّك ونستلذُّ بها،
ولكنَّ المواقف أبلغ من الأقوال!
الحبُّ ليس أن تتحدَّثَ عن الحُبِّ، وإنَّما أن تتصرَّفَ بحُبٍّ!

66

إِنَّ الموعد الجنَّةَ!

في كتاب حلية الأولياء للأصبهانيِّ:

كان أبو حازمٍ يمرُّ على الفاكهة في السُّوق، فيشتهيها وهو لا يملك ثمنها،

فيقولُ لها: موعدُكِ الجنَّة!

يا صاحبي: إنَّ في الجنَّةِ عزاءً عن كلِّ مفقودٍ!

في الجنَّة لقاء أحبابٍ بخلت بهم الدُّنيا عليك،

وإكمال خطواتٍ بعثرها الموتُ على الطَّريق باكراً،

في الجنَّة عزاءٌ عن كلِّ تقديرٍ لم تنله،

ومواساة عن كل حزنٍ تجرَّعته وقلبك يتقطَّع!

في الجنَّة لا عيون محمرَّة من كثرة البكاء،

ولا خواطر مكسورة من ظلم النَّاس،

فكلما ضاقتْ بكَ الدُّنيا، واستعصتْ الأمنيات، وانهارت الأحلام،

قُلْ لكلِّ هؤلاء: إنَّ الموعد الجنَّةَ!

67

سيطِرْ على فضولكَ!

في كتابِ بهجة المجالس لابن عبدِ البَرِّ:

بتركِ الفُضول تَكملُ العقول!

يا صاحبي: عِشْ في حياتك لا في حياة النَّاس!

سيطِرْ على فضولك، ودعكَ من الحِشَريَّة!

لا تسعَ لتكشفَ سرّاً، ولا ترسم في مخيلتك مشاهد بناءً على تحليل!

الكثير ممَّا ينشره النَّاس لا يعدو كونه استعذاباً،

كلامٌ يلمسُ شيئاً فيهم وليس بالضرورة واقعهم!

من يقتبس جملةً عن قيامِ اللَّيل ليس شرطاً أن يكون قائماً،

والذي يقتبس جملةً عن الحُبِّ ليس بالضرورة عاشقاً!

والذي يقتبس جملةً عن الغدر ليس بالضرورة مغدوراً!

دع النَّاس وشأنهم، ولا تبحث خلف الكلام عن واقع،

ثمَّ ولو صدقَ في النَّاس اقتباساتهم، ما لكَ وللنَّاسِ؟!

68

النّوايا!

في سِيَر أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:
قال عبد الله بن المبارك:
رُبَّ عملٍ صغير تُكثِّرُه النِّيَّة، وربَّ عملٍ كثيرٍ تُصغِّره النِّيَّة!
يا صاحبي: النَّوايا مناطُ الأعمال!
وإنَّ النَّاسَ يُعطون ويحرمون على نيَّاتهم لا على أعمالهم!
كان ابن سلولٍ يُصلِّي خلف النَّبيِّ ﷺ وهو في النَّار!
صحَّ العملُ ظاهراً، وفسدتِ النِّيَّة باطناً، فحبط العمل!
والذي قتل مئةَ نفسٍ، خرج تائباً إلى الله،
ومات قبل أن يبلغ قرية الصالحين، فكان من أهل الجنَّة،
قَصَّرَ به عمله، وكمُلتْ نيَّته، فبلغ الأجر كاملاً!

69
فإنَّما يوبِّخُ نفسه!

في كتابِ عيون الأخبار لابن قتيبة:

قال زُبيد بن الحارث: أسكتتني كلمة ابن مسعود عشرين سنة:

من كان كلامه لا يُوافق فعله، فإنَّما يُوبِّخُ نفسه!

يا صاحبي: لا يكن كلامُك في وادٍ وأفعالك في وادٍ!

جميلٌ جداً أن يكون ظاهر الإنسان كباطنه!

ولكنِّي لا أوافق على الجملة موافقة تامة!

حتَّى وإن ارتكبنا المعاصي فلمَ لا نتكلَّم عن الطّاعات؟!

حتَّى وإن قَصَّرنا فِي الصَّدقة فما المانع أن نحثَّ النَّاس عليها؟!

لو لم يتكلم إلَّا عامِلٌ لسادَ الصمتُ في هذا العالم!

كان الإمام الجُنيد ينظر إلى الكتب التي ألَّفها ويقول:

يا ربِّ، إنِّي أحسنتُ القول، وأسأتُ العمل، فهَبْ هذه لتلك!

70
معارفُ وأصدقاء!

في سِيَرِ أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:

قال الإمام الشافعيُّ:

ليس بأخيك من احتجتَ إلى مُداراته!

يا صاحبي: أسوأ العلاقات هي تلك التي تمشي فيها على رؤوسِ أصابعك!

تشعرُ كأنَّكَ تسيرُ في حقلِ ألغامٍ، لا تدري متى ينفجرُ لغمٌ ويطيح بك!

العلاقاتُ خُلقت للرَّاحة، وكل من يسرقُ سلامكَ الدَّاخلي لا يلزمك!

وكلٌّ من عليكَ أن تنتقي مفرداتك معه دَعْه،

وكلٌّ من يريدكَ أن تعامله «بالإتكيت» فهو من المعارف لا الأصدقاء!

الصّداقة الحقيقيَّة أن تكون على طبيعتك وأنتَ آمِن،

كان الشَّافعيُّ يقول: ليس من المروءةِ لبس العمامة في البستان!

وهو يعني بهذا: تخلَّص من الرَّسميَّات حين تكون مع أصدقائك!

71

لأجلسَ مع الصَّحابة!

في سِيَر أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:

كان عبد الله بن المبارك يجلس في بيته طويلاً بين كتبه،

فقيل له: ألا تستوحش؟

فقال: كيف استوحشُ وأنا مع النَّبيِّ ﷺ وأصحابه!

يا صاحبي: إنَّ القراءة في الكتب متعةٌ لا يعرفها إلا من جربها،

واللهِ لقد عشتُ بالحرف ما قاله عبد الله بن المبارك،

حين أردتُ أن أكتب كتَاب «رسائل من الصَّحابة»،

قرأتُ كتاب أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة لابن الأثير،

خمس مجلداتٍ ضخامٍ لأجل الحصول على بعض المتون تصلح أن تكون رسائل،

عشتُ مع الصَّحابة أمتع عشرين يوماً في حياتي،

كنَّا نكون جالسين، فأقومَ لأقرأ، فتسألني زوجتي: إلى أين؟

فأقول له: لأجلسَ مع الصَّحابة!

72
التَّواضعُ يسترُ كلَّ عيب!

في سِيَر أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:
قال الإمام الشَّافعيُّ:
التَّواضعُ يُورثُ الحبَّة، والقناعةُ تورثُ الرَّاحة!
يا صاحبي: التواضعُ يستر كلَّ عيب، والكِبر يمحو كلَّ فضيلة!
هوِّن عليكَ فإنَّك أتيتَ من ترابٍ وستصير إلى تراب،
وقد خرجت من موضع البول مرَّتين!
مرَّةً من صُلبِ أبيكَ، ومرَّةً من رحم أمِّك!
وأنتَ في حياتك تحمل الفضلات في داخلك،
وفي مماتك تُوارى في التُّراب كي لا يُؤذي عفنك النَّاس،
هذه هي حقيقتنا التي نتغافل عنها!
تعلَّمنا باكراً في المدارس، أنَّ السَّنابل المليئة بالحَبِّ تنحني بتواضع،
والسَّنابل الفارغة ترفع رأسها بغرورٍ!

73

قريبٌ بقدرِ ما تحتاج، ناءٍ بقدرِ ما تستغني!

في سِير أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:
قال الإمام الشَّافعيُّ:
الانقباضُ عن النَّاسِ مكسبةٌ للعداوة،
والانبساطُ إليهم مجلبةٌ لقرناء السُّوء، فكُن بين المنقبض والمنبسط!
يا صاحبي: لا تختلِطْ بأكملك بالنَّاس، واترُكْ شيئاً منكَ لنفسك!
ولا تكن نائياً نحن أرواح لا أشباح!
تعلَّم فن المسافة، ومساحة الأمان، من الخالق العظيم!
الأرضُ ليستْ في حضنِ الشمس لتحترق،
وليست بعيدةً بالقدر الذي لا يصلها الضَّوء فتُظلم وتتجمَّد،
قريبةٌ بقدر ما تحتاج، نائيةٌ بقدر ما تستغني!

74
الخوفُ أن يعطيكَ وأنتَ تعصيه!

في سِير أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:
قال أبو حازم المَدينيِّ:
إذا رأيتَ ربَّك يُتَابعُ نعمه عليكَ وأنتَ تعصِيه، فاحذرْ!
يا صاحبي: ليس الخوفُ أن يحرمكَ اللّه وأنت تُطيعه،
وإنمَّا الخوفُ أن يعطيك وأنت تعصيه!
أن تسقط من عينه سبحانه فلا يردُّك بالابتلاء كما يردُّ أحبابه،
أن تُحدِثَ معصيةً فيعطيك نعمةً،
أتعرف ما اسم هذا؟!
إنَّه الاستدراج والإملاء الذي يقول فيه ربُّنا في كتابه:
﴿سَنَستَدرِجُهُم مِن حَيثُ لا يَعلَمونَ*وَأُملي لَهُم إِنَّ كَيدي مَتينٌ﴾

75
المُؤمنُ يطلبُ المعاذير!

فِي كتاب التَّوبيخ والتَّنبيه لعبد اللّٰه الأصبهانيِّ:
من رأيتَه يطلبُ عثرات النَّاس، فاعلَمْ أنَّه معيوب!
يا صاحبي: إنَّ أشر ما يُبتلى به المرء انشغاله بعيوب النَّاس عن عيبه!
يبحثُ لهم عن السَّقطة وهو ساقط ولا يشعر،
ويفرح إذا أصابتهم العثرة وهو متعثِّر ولا يدري!
اللّٰه سِتّير، يحبُّ السِّتر وأهله!
وقد أمرنا أن نستر ما وصلنا من عثرات الآخرين،
ومن باب أولى أمرنا ألا نبحث ونتتبَّع عثرات الأخرين!
السِّترُ من علامات الإيمان، والفضيحة من علامات النِّفاق،
كان عبد اللّٰه بن المبارك يقول:
المؤمن يطلبُ المعاذير، والمنافق يطلبُ العثرات!

76

لا دِينَ لمن لا يغار!

قال ابن القيِّم في كتابه الجواب الكافي:

أصل الدِّين الغِيرة، ومن لا غيرةَ له لا دِينَ له!

يا صاحبي: الغِيرة على العِرض قبل أن تكون من الدِّين فهي من الفطرة،

دافعوا عن فطرتكم يا معشر الرِّجال ولكن بحكمةٍ وعقلٍ،

أقيموا الضِّلعَ دون أن تكسروه،

وحيث لا هَوادة فلا تلينوا، فلا يدخلِ الجنَّة ديُّوث!

وأنتنَّ يا معشر النِّساء فليسقطْ من أعيُنِكُنَّ من لا يغار عليكُنَّ!

وإن حدث أن كان الرَّجلُ حادّاً في غيرته فاحتمِلْنَه،

فإنَّه وإن أساءَ التَّعبير، فقد أحسنَ في القصدَ!

77
الذي يعتقد أنَّه يدري!

قال المَزِّيُّ في كتابه تهذيب الكمال:
لو سكتَ من لا يدري لاستراحَ وأراحَ!
يا صاحبي: في حياة كل واحِدٍ منَّا شخصٌ لا يعرف شيئاً ويتحدَّث في كلِّ شيءٍ!
إذا كان الحديثُ في الطبِّ يُشعرك أنَّ ابن سينا تلميذه!
وإذا كان الحديثُ في الفقه يُشعرك أنَّه الشَّافعي!
وإذا كان الحديثُ عن الصَّحيح والضَّعيف يُشعرك أنَّه شيخ البُخاريِّ!
وإذا كان الحديثُ في النَّحوِ يُشعرك أنَّ سيبويه قد بُعِث من قبره!
وإذا كان الحديثُ في التَّاريخ يُشعرك أنَّه أملى على الطبريِّ كتابه!
وإذا كان الحديثُ في علمِ الاجتماع يُشعرك أنَّ ابن خلدون أخذ عنه مقدمته!
هذا النَّوع من النَّاس لا تحاول مناقشته في أيِّ معلومة،
اِصبِرْ حتَّى ينفضَّ المجلسُ بأقلِّ الأضرار!

78

الاهتمام بالتفاصيل على حساب الغايات!

في سِيَرِ أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:
كتبَ أحدُ الملوك لشبطون تلميذ الإمام مالكٍ ومُفتي الأندلس:
كفَّتا الميزان يوم القيامة من ذهبٍ أم من فضَّة؟!
فكتب إليه شبطون: من حُسنِ إسلامِ المرء تركه ما لا يعنيه!
يا صاحبي: بلاءُ هذا العصر الاهتمام بالتفاصيل على حساب الغايات!
يريدُ أحدهم أن يعرفَ اسم زوجة إبليس،
ولكنَّه لا يهتمُّ أن يعرف الطُّرق التي يدخل بها إبليس عليه!
ويريدُ أحدهم أن يعرف نوع الحوتِ الذي ابتلع يونس عليه السَّلام،
ويتركُ أهم ما في الحكاية: لماذا ابتلعه، وما الذي أنجاه؟
ويريدُ أحدهم أن يعرف كم طول وعرض سفينة نوحٍ عليه السَّلام،
وينسى أهمَّ درسٍ: وهو أن التَّوحيد منجاة!
ويريدُ أحدهم أن يعرف أين الكهف الذي أوى إليه الفتية،
ويترك السَّبب الذي أوى إليه الفتية!

79
أمراضُ القلوب أشدُّ فتكاً من أمراض الأجسام!

في سِيَرِ أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:
من كانتْ معصيتُه في الشَّهوة فارجُ له المغفرة،
لأنَّ آدم عصى مشتهياً فغفر الله له،
ومن كانتْ معصيتُه في الكبر فاخشَ عليه،
لأنَّ إبليس عصى مستكبراً فلُعِنَ!
يا صاحبي: أمراض القلوب أشدُّ فتكاً من أمراض الأجسام!
أغلب الهالكين الذين حدثنا القرآن عنهم كانت أمراضهم في قلوبهم!
الحسد: ﴿أَنا خَيرٌ مِنهُ﴾! قالها إبليس!
الاستكبار: ﴿أَلَيسَ لي مُلكُ مِصرَ﴾! قالها فرعون!
الجحود: ﴿إِنَّما أوتيتُهُ عَلى عِلمٍ عِندي﴾! قالها قارون!
الغرور: ﴿ما أَظُنُّ أَن تَبيدَ هـذِهِ أَبَدًا﴾! قالها صاحب الجنَّتين!


إنَّ الإنسان إذا أحبَّ
استعذبَ من حبيبه
ضربة السَّيف،
وإذا كرِه استقبح ممَّن يكره
شربة العسل!

80

ولكنهم جميعاً عاشوا لله!

في سيرِ أعلام النَّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:

لما اشتدَّ المَرضُ على سعيد بن المسيِّب حوَّلوا فراشه إلى القِبلة،

فقال: لئن لم أكن في حياتي على القبلة والمِلَّة،

واللهِ لا ينفعني توجيهكم فراشي!

يا صاحبي: إنَّ القضيَّة ليست كيف يموت المرء، بل كيف يعيش!

أبو بكر مات على فراشه،

وعُمر وعليٌّ ماتا مطعونين في صلاة الفجر،

وعثمان مات مذبوحاً على المصحف،

وأبو عبيدة بن الجرَّاح ماتَ بالطَّاعون،

كلٌّ واحدٍ منهم ماتَ بطريقة، ولكنَّهم جميعاً عاشوا لله!

81
أعياكَ من لم يُشاكلكَ!

في كتابِ روضةِ العقلاء ونُزهة الفضلاء لابنِ حِبَّان:
والذي يزدادُ به العاقل من نماء عقله،
هو التَّقرب من أشكاله، والتَّباعد من أضّداده!
يا صاحبي: من أجمل ما قالت العرب: أعياكَ من لم يُشاكلَك!
إنَّ النُّفور في الطِّباع، والأولويات، يُفسِد العُمر!
فابحثْ عن المواءمة في الأخلاق والقناعات أوَّلاً،
إنِّي أكاد أقسِم أنَّ حياة آسيا زوجة فرعون كانت جحيماً معه،
وأنَّ القصر الكبير لم يكن أكثر من سجن!
تخيَّل أن تُمضي عمرك في وادٍ وشريكُ حياتك في وادٍ!
وإنِّي أكاد أقسم أنَّ ما لاقاه نوح عليه السلام من زوجته،
كان أقسى عليه ممَّا لاقاه من قومه!
وهي واحدة، وهم كُثُر، ولكنَّ الجبهة الدَّاخليَّة ليست آمنة!

82
عليك بطريقِ الحقِّ، ولا تستوحِش لقلَّة السَّالكين!

قال ابنُ قُدامة في كتابه مختصر منهاج القاصدين:
هلكَ أكثرُ النَّاسِ لخوف مذمَّة النَّاس وحُبِّ مدحتهم،
فصارتْ حركاتهم كلُّها على ما يُوافق رضى النّاس،
رجاء المدحِ، وخوفاً من الذَّمّ!
يا صاحبي: إنَّ من ضعفَ الشَّخصيَّة أن تنظر دوماً إلى ردَّة فعلَ النَّاس!
ألا تقولَ الحقَّ خوفاً من أن تُنتقد!
وأن تُصفِّق للباطل لأنَّ المصفِّقين هم الأكثريَّة!
وأن تمشيَ إلى الهاوية فقط لأنَّ المجتمع كلُّه ذاهب إليها!
الذين خَلَّدهم التَّاريخ هم الذين غيَّروا مجراه!
كان ابن القيِّم رحمه الله يقول:
عليك بطريقِ الحقِّ، ولا تستوحِش لقلَّة السَّالكين،
وإيَّاك وطريق الباطل، ولا تغترَّ بكثرة الهالكين!

83

القضاء على الفِطرة!

في البداية والنِّهاية لابن كثيرٍ:

قال الوليد بن عبد الملك: لولا أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قَصَّ علينا،

قصَّة قوم لوطٍ في القرآن الكريم، ما صَدَّقْتُ أنَّ ذكراً يعلو ذَكراً!

يا صاحبي: أسوأ ما نتجَ عن الحضارة الغربيَّة ليست المعاصي،

وإنَّما محاولةُ القضاء على الفطرة!

لو قبلُوا أن يبقى الشُّذوذُ في أعيننا شذوذاً لهانَ الأمر!

ولكنَّهم يريدون منك أن تتقبله ولا تحتقره،

وقد اخترعوا مرضاً سموه: رُهاب المثليَّة!

كلُّ من قال إنَّ الشُّذوذَ قرفٌ، اتهموه أنَّه مريض!

أدخلوا مفاهيم الشُّذوذ والمثليَّة في مناهج التَّدريس الأولى،

يعبثون بالإعدادات التي ضبط الله تعالى الإنسان عليها!

84
ما جاهد الإنسان عدواً أشرسَ من نيَّته!

في كتاب حِلية الأولياء للأصبهانيِّ:
لمَّا ماتَ زين العابدين عليُّ بن الحسين غسَّلوه،
وجعلوا ينظرون إلى آثارٍ سوداء على ظهره،
فقالوا: ما هذا؟
فقيل: كان يحملُ أكياس الدَّقيق ليلاً على ظهره كي لا يُرى،
يُعطيه فقراء أهل المدينة!
يا صاحبي: كلُّ عبادةٍ لم يطَّلع عليها النَّاس كانت أدعى للقبول،
ذلك أنَّ الإنسان وحده لا يحفل همَّ الرِّياء والسُّمُعة!
وكلُّ عبادةٍ اطَّلع عليها النَّاس احتاجت إلى مجاهدة نيَّة،
اِعمل لوجه الله فقط، وأكثِرْ من عبادات السِّرِّ فإنَّ فيها الإخلاص،
وإنَّ الإنسان إذا بلغ مرتبة الإخلاص فقد وصل!
كان الأوائل يقولون: ما جاهد الإنسان عدواً أشرسَ من نيَّته!

85
القلوب أوعيَّة ما يُصَبُّ فيها!

في كتابِ ترتيبِ المدارِك للقاضي عِياض:
قال الإمامُ مالك: من أحبَّ أن تُفتح له فُرجةٌ في قلبه،
فليكُن عمله في السِّرِّ أفضل منه في العلانية!
يا صاحبي: القلوب أوعيَة ما يُصَبُّ فيها!
فإن صببْتَ فيها الدُّنيا ماتت وصارتْ كالحجارة،
وإن صببْتَ فيها الآخرة لانتْ وكانت كالعسل المصفَّى،
ولا شيء أنفع للقلوب من عبادة الخلوات،
ذاك أنَّه لا يُرتجى فيها إلَّا وجهه،
وكلُّ عبادة أُريد بها وجه الله ألانت القلب ونظَّفته،
فإيَّاك أن تُجمِّل عباداتك للناس، وتخرِّبها لله،
ألا ترى أنَّ الأجير لا يهمُّه إلَّا رضى ربِّ العمل!

86
الانشغالُ بالآخرين مفسدةٌ للقلب!

في كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض:

قال الإمام مال بن أنس: لا يَصلُح الرَّجلُ حتى يترك ما لا يعنيه،

فإذا كان كذلك أوشكَ أنْ يفتحَ الله في قلبه!

يا صاحبي: إنَّ الانشغالَ بالآخرين مفسدةٌ للقلبِ!

فالذي ينظر إلى ما في أيدي النَّاس لن يستمتع بما بين يديه،

والذي يعيش في حياة النَّاس سيمضي عمره دون أن يعيش حياته،

من النَّاس من يريد أن يعرف سبب كلِّ طلاق،

ومضمون كلِّ حديثٍ بين اثنين، ومصدر كلِّ مالٍ بيد غيره،

قارِنْ بين قلب المنشغل بنفسه، الذي يستعدُّ لقبره،

وبين قلبِ المنشغِل بالنَّاس، النَّاس دنياهُ وآخرته!

يا صاحبي: إذا فسدَ قلبُ المرءِ فهو للبهائم أقرب منه للنَّاس!

87

وينسَى الجِذعَ في عينِه!

في كتابِ المُجالسةِ وجواهرِ العلم للدينوريِّ:

قال محمَّدُ بن سيرين: أكثرُ النَّاسِ خطايا، هم أكثرهم ذكراً لخطايا النَّاس!

يا صاحبي: مشكلة النَّاس الكبرى لخصَّها لكَ قولُ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم:

يُبصِرُ أحدكم القذاة/ القشَّة في عينِ أخيه وينسى الجذع في عينه!

ينشغل النَّاسُ بعيوبِ الآخرين وينسون عيوبهم!

ثمَّ حتَّى لو كانت أخطاءُ النَّاس كبيرة،

من قال لك إنَّه يحقُّ لكَ أن تجعلها فاكهةَ المجالس؟!

يقوَلُ النّبيُّ ﷺ: لما عُرِجَ بي،

مررتُ بقومٍ لهم أظفار من نُحاسٍ يخمِشون وجوههم وصدورهم!

فقلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟

فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم النَّاس ويقعون في أعراضهم!

88
أرانِي قد اغتبتُه!

في كتابِ مكارم الأخلاقِ للخرائطيِّ،
قال طوق بن مُنَبِّه، دخلَ عليَّ ابنُ سيرين وأنا مريض،
فقال لي: اِذهبْ إلى فلان الطَّبيب يعالجك،
ثم قال: لا، اِذهبْ إلى فلان فإنَّه أمهر في الطِّب منه!
ثم قال: أستغفرُ الله، أراني قد اغتبتُه!
يا صاحبي: إنَّ للغِيبة وجوهاً لا ينتبه إليها النَّاس فانتبه أنتَ!
يقول أحدهم: فلانٌ طيِّب لكنَّه! إنَّه يمهِّدُ للغِيبة!
يقول أحدهم: ما ظننتُ أن يفعل فلان كذا! غيبةٌ في زيِّ التَّأسُّف!
يقول أحدهم: الله لا يبلانا فلان فعل كذ! غِيبة في زيِّ تزكية النَّفس!
ومن الغِيبة كذلك إطلاق النِّكات على أهل بلدٍ أو مدينةٍ،
ووصفهم جميعاً بالغباء، أو البُخل، أو الحُمق،
وهذه غِيبةٌ جماعيَّةٌ هي أقبح وأكثر إثماً من غِيبة الأفراد!

89
الثَّقافة والتَّخصُّص!

في كتابِ جامعِ بيان العلم لابن عبد البَرِّ:
قال الخليلُ بن أحمد الفراهيديِّ:
إذا أردتَ أن تكون عالماً، فاقصد لفنٍّ واحدٍ من العلم،
وإذا أردتَ أن تكون أديباً فخُذْ من كلِّ شيءٍ أحسنه!
يا صاحبي: الثَّقافة هي أن تعرف شيئاً عن كلِّ شيء،
والتَّخصُّص هو أن تعرف كلَّ شيءٍ عن شيءٍ واحد!
لا شكَّ أن الثَّقافة شيءٌ جميلٌ، إذ تجعلك متنوعاً،
ولكنَّ التخصُّص أجمل، لأنه يجعلك خبيراً،
ونحن نعيش في زمنٍ يحتاج إلى التَّخصُّص أكثر من الثَّقافة،
لهذا فإنَّ «الماجستير» في تخصُّصٍ واحدٍ، أفضل من خمس شهادات مختلفة،
والدكتوراه في مجال واحد، أفضل من خمس «ماجستيرات» مختلفة،
والأفضل من الاثنين، أن تجمعَ التخصُّصَ والثَّقافة!

90
مرحباً بزائرٍ لا يُمَلُّ!

في كتابِ البصائرِ والذَّخائرِ لأبي حيَّان التَّوحيديِّ:

أقبل سيبويَّه على مجلس شيخه الخليل بن أحمد الفراهيديِّ.

فقال له الخليل: مرحباً بزائرٍ لا يُمَلُّ!

يا صاحبي: أبسُط وجهك قبل مجلسك!

وافتحْ قلبكَ قبل بيتك!

ليست المعادن وحدها التي تتمدَّدُ بالحرارة وتتكمش بالبرد!

دفء المشاعر يجعل الأماكن رحبة، وبرودها يُضيّقهَا!

فأشعِرِ الضّيفَ أنَّه صاحبُ البيت وأنَّك ضيفه،

حتَّى أهل بيتك عبِّرْ لهم عن فرحك برؤيتهم،

دخلت فاطمة على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلم فقال لها: مرحباً بابنتي!

91
أواسيكَ في الحَفَاء!

في كتابِ مكارم الأخلاقِ لابن أبي الدُّنيا:
قال محمَّدُ بن مناذر: كنتُ أمشي مع الخليل،
فانقطع نعلي، فمشيت حافياً، فخلعَ نعله ومشى!
فقلت له: ما تصنعُ يرحمكَ اللّه؟!
فقال: أواسيكَ في الحَفَاء!
يا صاحبي: أشعِر النّاس أنَّك منهم، وأنهم منكَ!
لا تُنكِّدْ على النَّاس في أفراحهم، ولا تُظهر الفرحَ في أحزانهم،
جاء عمر بن الخطاب إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلم فإذا هو وأبو بكرٍ يبكيان،
فقال: يا رسول الله، أخبرني ماذا يبكيك أنتَ وصاحبك،
فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ، وإن لم أجدْ تباكيتُ لبكائكما!

92
صدقةٌ يوميَّةٌ!

في كتابِ الرَّقائقِ لعبدِ اللهِ بن المبارك:
كان أبو الخير لا يمرُّ عليه يوم،
إلَّا وتصَّدَّقَ فيه بشيءٍ، ولو بكعكةٍ أو بَصَلةٍ!
يا صاحبي: خُلقت الدُّنيا دار عملٍ لا أجورٍ، الأجور ليوم القيامة!
لكن ثمَّة عبادات يرى الإنسان أثرها عياناً أهمها الصَّدقة!
والصَّدقة اليومية مهما كانت قليلة تفكُّ حبالَ المصائبِ من عنقك،
وتفتحُ لكَ الأبواب المغلقة،
وتيسِّرُ لكَ الأمور المتعسِّرة،
وتُليِّنُ لكَ القلوب القاسية!
صحيح أنّنا نعمل لوجه الله أوَّلاً وآخراً،
سواء رأينا ثمرة عبادتنا في الدُّنيا أم لم نرها،
ولكن استعن على دُنياك بالصَّدقة فإنَك حتماً سترى أثرها!

93

إنَّما هي أيام تمضي والموعد الجنَّة!

قالَ ابنُ رجبٍ في كتابه لطائفِ المعارفِ:
من صام َعن شهواته في الدُّنيا، أدركها غداً في الجنّة!
يا صاحبي: كان الصَّالحون يُعَزُّون بعضهم بعضاً بالجنَّة، فيقول أحدهم للآخر: إنَّما هي أيام تمضي والموعد الجنّة!
فاجعلها أنت عزاءً لنفسك!
إذا فتحت لك أبواب شهوة فتعفَّف فإنَّ الموعدَ الجنَّة،
وإذا تيسَّر المال الحرام فازهد فإنَّ الموعدَ الجنّة،
وإذا أغرتك نفسك بالانتقام فاكظمْ غيظك فإنَّ الموعدَ الجنّة،
وإذا قطعكَ أرحامُكَ فلا تقطعهم واحتملْ فإنَّ الموعد الجنّة،
يا صاحبي: كلُّ لذَّاتِ الدُّنيا ستنسى عند أول غمسةٍ في النَّار!
وكلُّ شقاء الدّنيا سيُنسى عند أول غمسةٍ في الجنَّة!

94
إني أتعبَدُ الله بالدُّعاء!

قال ابن رجب في كتابه لطائف المعارف:
ما دام العبدُ يُلِحُّ في الدُّعاء فهو قريب من الإجابة،
فمن أدمنَ قرع الباب يُوشِكُ أن يُفتحُ له!
يا صاحبي: الدُّعاء بحدٍّ ذاته عبادة أجيب أم لم يُجب!
فإن جاءك الشَّيطان فقال لك: إلى متى تدعو ولا تُعطى؟
فقل له: إنِّي أتعبّدُ الله بالدّعاء!
وقُمْ بالباب، ولا تتصرفْ لأنّه لم يُفتح بعد،
إنّ النَّاس إذا طُرقت بيوتهم مراراً فتحوا، فكيف بالله؟!
الدّعاء لا خسارة فيه حتى وان لم يُجبْ؟
فهو إمّا أذى يُدفع، أو أجر يُدَّخر؟

95
تـريدُ أن تموتَ على شيءٍ، عِشْ عليه!

قال ابنُ رجبٍ في كتابه لطائف المعارف:
الخواتيم ميراث السّوابق!
يا صاحبي: لا يوجدُ حُسْنُ خاتمةٍ بسوءِ سالفة!
في هذه الدَّنيا لا يحصد إلَّا باذِر!
وليس بعاقلٍ من يطلبُ ورداً بزرع الشَّوك،
ومجنونٌ من حاول استخراجَ العسل من الذُّباب!
تريد أن تموت على شيءٍ، عشْ عليه!
يقول ابن رجب في الرَّسائل:
ختمَ آدم بن أبي إياس القرآن وهو مسجىً للموت،
ثمَّ قال: بحبِّي لكَ إلَّا رفقتَ بي في هذا المصرع،
كنـت أؤمِّلـك لهـذا اليـوم، كنـت أرجـوك، لا إلـه إلا الله، ثـمَّ فاضـتْ روحـه!


نحن نُقدِّم الأشياء
دون مقابل: ولكنَّنا لا
نقدِّمها دون تقدير!

96
إنَّ التَّقيَ من تركَ إذا ملكَ!

قالَ ابنُ رجبٍ في كتابِه لطائف المعارف:
ليس الخائفُ من بكى وعصرَ عينيه،
إنَّما الخائفُ من تركَ ما اشتهى من الحرامِ إذا قدِرَ عليه!
يا صاحبي: إنَّ التَّقيّ من تركَ إذا ملكَ!
لا تُحسَبُ الفضيلةَ فضيلةً، ما لم يقدر الإنسانُ على ضدِّها!
فلا عفّة لمن لا شهوة له،
ولا عفو لمن لا يستطيع الانتقام،
والزّاهد ليس الذي لا يجد، وإنّما الذي يجد ويزهد!
كان عمر بن الخطاب يقول:
إنّ الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها،
﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾!

87
انتظارُ الفَرَجِ عِبادة!

قال ابنُ رجبٍ في كتابه لطائف المعارف:
انتظارُ الفَرَجِ عِبادة!
يا صاحبي: سألَ المريدُ شيخه، كيف أصبر؟
فقالَ: كما تصوم، وتعرف أن أذان المغرب قادمٌ لا محالة!
يا صاحبي: مهما تعَقَّدت، فإنَّ بيد الرَّحمن حلَّها فلا تيأس!
أحسن الظَّنَّ بالله، فإنَّه أجمل عبادات القلوب!
لا تيأسوا، لم يقلها يعقوب لأولاده في رخاءٍ،
قالها في أوج شدّته وبلائه بعدما فقد بنيامين بعد يوسف عليه السَّلام!
لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتَّى جاء البشير بالقميص،
ارتدَّ بصيراً، ولم يمضِ وقت طويل حتَّى رأى ابنه على كرسي المُلك!
املأ قلبك بحسن الظَّنِّ بالله، وأبشِرْ!

98
مسائِلُ الفقهِ ليستْ ساحات معارك!

قال ابنُ رجبٍ في كتابه لطائف المعارف:
صنّفَ فقيهٌ كتاباً وسمَّاه: كتاب الاختلاف!
فقال له الإمام أحمد، سَمِّه: كتاب السَّعة!
لا ينبغي لفقيه أن يحملَ النَّاس على مذهبه!
يا صاحبي: مسائلُ الفقه ليستْ ساحات معارك!
إنّها آراء الفضلاء التي استَقُوها من الأدلَّة والنُّصوص،
ولمّا كان النَّاس أفهام اختلفت الأحكام شيئاً يسيراً،
فإن استرحتَ إلى قولٍ فخُذْ به، وأعلم أنّ هناك غيره،
وإن تعبّدت الله بمذهبٍ، فالمذاهب الأربعة كلها نور،
يقول يونس الصَّدفي: ما رأيتُ أعقل من الشّافعيِّ،
اختلفنا يوماً في مسألة، وافترقنا، فلقيني بعدها، وأخذ بيدي،
وقال يا يونس، أما يستقيمُ أن نكونَ إخواناً وإن اختلفنا في مسألة؟!

99
لا ترْجُ الرّاحة في دارٍ لم تخلق للراحة!

في كتابِ لطائفِ المعارفِ لابنِ رجبٍ:
سُئل الإمامُ أحمد: متى الرّاحة يا إمام؟
فقال: عند أوَّلِ قدم تضعها في الجنَّة!
يا صاحبي: لا ترْجُ الرّاحة في دارٍ لم تخلق للراحة!
ألفَ سنةٍ إلّا خمسين عاماً كُذِّبَ نوح عليه السّلام!
وأُلقيَ خليل اللّهِ إبراهيم عليه السَّلام في النَّار!
وفي بطن الحوت لبث يونس عليه السَّلام!
بالمنشار نُشِر زكريا عليه السَّلام، ولبغيٍّ قُدِّم مهراً رأس يحيى عليه السَّلام!
رُجِمَ نبيُّك ﷺ في الطائف، وحوصر في الشِّعب، وسال دمه يوم أحد!
هؤلاء هم صفوة الخلق، وتريد أن ترتاح أنت هنا!
سأل رجلٌ أحد التَّابعين: متى أطمئن؟
فقال له: إذا رأيتَ الصِّراط خلفكَ!

100
فقدُ الأحبَّة غُربة!

من لطيفِ ما قرأتُ في التَّفسير،
قول الإمام القشيريِّ عن قول سليمان عليه السَّلام، عن الهدهد:
﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذابًا شَديدًا﴾
قال العذاب الشديد أن يُفرِقَّ بينه وبين من يُحبُّ.
فالفرقة عن الحبيب تجعلُ المرء كأنَّما يتنفَّسُ من خرم إبرة!
يا صاحبي: من أجمل ما قالت العرب: فقدُ الأحبَّة غُربة!
ولك أن تتخيَّلَ أنَّ معراج النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم كان بعد فقدِ خديجة!
يعلمُ الله أنَّ الأرض كلَّها أصغر من أن تكون عزاءً عن حبيبٍ،
فأخذه إلى السَّماء ليعزِّيه بها!
إحدى عشرة زوجةٍ، ولكنَّه بقي حتَّى آخر عمره يقول:
والله ما أبدلني الله خيراً من خديجة!
لا تبحثْ في الآخرين عن آخرين، لا أحدَ يملأ مكان أحد!

101
بل هو الدِّينُ كلُّه!

في كتابِ مكارمِ الأخلاقِ للخرائطيِّ:
ذُكِر الحياءُ عندَ عمر بن عبد العزيز،
فقالوا: الحياءُ من الدِّين!
فقال عُمر: بل هو الدِّينُ كلُّه!
يا صاحبي: أعلى درجات الحياء أن يستحيَ العبدُ أوّلاً من الله!
أن يستحيَ أن يفقده اللهُ حيث أمره أن يكون،
ويستحيَ أن يجده حيث نهاه أن يكون!
الحياءُ ليس أن يُؤكلَ حقكَ فتُطأطئَ رأسكَ فهذا هو الجبنُ،
وإنَّما الحياءُ ألا تأكلَ حقَّ أحد!
الحياءُ أن تمشيَ على رؤوسِ كلماتِك خشيةَ أن تجرحَ أحداً،
وأن تضبطَ ردودَ أفعالك مخافةَ ألا تكسِرَ ما لا يمكن إصلاحه!

102
المرءُ نتاجُ خلواته!

في كتاب الزُّهد لهنَّادِ بن السَّريِّ:
قال عمر بن عبد العزيز: لا تكن ممَّن،
يلعنُ إبليس في العلانية، ويطيعه فِي السِّرِّ!
يا صاحبي: إنَّما دينُ المرءِ في خلواته!
وما أريدُ أن أضيِّقَ عليكَ الطريق إلى الله!
كُلُّنا ذو معصيةٍ والعاصي في خِلوةٍ منكسراً،
لهوَ خيرٌ ممَّن جاهر وبارز الله بالمعصية على الملأ!
ولكنِّي أقولُ لكَ: جاهد ألا يكون الله أهون النَّاظرين إليك!

103

رجلٌ سألني فأجبتُه!

في كتابِ مكارمِ الأخلاقِ للخرائطيِّ!
داسَ عمرُ بن عبد العزيز بالخطأ قدمَ رجلٍ!
فقال الرَّجلُ: أعمى أنتَ؟
فقال له عمر بن عبد العزيز: لا!
فقام إليه من كان مع عمر ليُؤدِّبوه،
فقال لهم عمر: دعوه، رجلٌ سألني فأجبته!
يا صاحبي: إنَّ الشُّجاعَ ليس من يربحُ خصاماً، وإنَّما من يتجنَّبه!
والعاقلُ ليس الذي يربحُ جدالاً، وإنَّما من يتفاداه!
الحياةُ تضعُنا كلَّ يوم على عتبةِ معركة،
فمن ملكَ ردَّةَ فعله استراح وأراح!
ومن الجميل أن تعلم أنَّ كلَّ فعلٍ حجمه بما تعطيه أنتَ من ردَّةِ فعلٍ!

104
دعوةٌ من غير كلامٍ!

في كتَاب سِيَرِ أعلام النُّبلاءِ للإمام الذَّهبيِّ:

قال عمرُ بن عبدَ العزيز: كونَوا دُعاةً إلى الله وأنتم صامتون!

فقيل له: وكيف ذلك؟

فقال: بأخلاقكم!

يا صاحبي: لا تُحَدِّثني عن الدِّين، دعني أراه فيك!

فإنَّ أهمَّ درسٍ في الإسلام هو الأخلاق،

فإنْ فاتكَ، فإنَّكَ لم تُدركَ من الإسلام إلا بمقدار،

ما يُدرِكُ الخيطُ من البحر إذا غُمُسِ فيه غمسةً!

إندونيسيا لم تصلها جيوش الفاتحين،

وإنَّما فتحها التُّجار المسلمون بصدقهم ووفائهم وأمانتهم،

السُّيوفُ تملكُ الجدران، أمَّا الأخلاق فتملكُ القلوب!

105
أَغَزَوتَ الرُّوم؟!

في كتابِ البداية والنهاية لابن كثير:

قال سفيان بن حسين: ذكرتُ رجلاً بسوءٍ عند إياس بن معاوية،

فنظرَ في وجهي وقال: أغزوتَ الرُّوم؟

قلتُ: لا!

قال: فالسِّنْدُ والهندُ والتُّرك؟

قلتُ: لا!

فقال: أَفَسلِمَ منكَ الرُّومُ والسِّنْدُ والهندُ والتُّرك،

ولم يسلم منكَ أخوك المسلم؟!

يا صاحبي: قال ربُّكَ في وصف المؤمنين: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤمِنينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكافِرينَ﴾!

فإيَّاك أن تجعلَ الأدوار معكوسة!

إيَّاكَ أن تكون أقوى معاركك مع أرحامِك وجيرانك وأصدقائك،

إيَاكَ أن يَسلَم منكَ من كان يجب أن تحُاربه،

ويظهر بطشُكَ على من كان يجب أن تُسالمه!

106
إنَّكَ طالبُ جنَّة!

في كتابِ شرحِ السُّننِ الكبرى للبيهقيِّ:
كتبَ إبراهيمُ بن أدهم إلى سفيان الثوريِّ:
من عرفَ ما يطلبُ، هانَ عليه ما يبذل!
يا صاحبي: إنَّكَ طالبُ جنَّةٍ، وكلَّما نفستِ العروسُ غلا مهرُها!
فاجعَلِ الجنَّةَ نُصْبَ عينيك يهُنْ عليكَ المسيرُ!
مشقَّةُ قيام اللَّيل، يُهوِّنها أن تعلمَ لأيِّ وجه تقوم!
ومكابدةُ ظمأ الهواجِر، يُهوِّنُها أن تعلمَ لأيِّ وجهٍ تصوم!
ومعاناةُ مفارقةِ الدِّرهم والدِّينار، يهوِّنُها أن تعلم لأيِّ وجهٍ تتصدَّق!
إذا عرف المرءُ وُجهته، هانَتْ عليه وَعْثاءُ الطَّريق!

107
الهَوَى شريكُ العمى!

في كتابِ عيونِ الأخبارِ لابن قُتَيبَة:
قال إبراهيم بن أدهم: الهَوَى شريكُ العمى!
يا صاحبي: الإنسان أعمى في حالتين:
عندما يُحِبُّ بشدَّة، وعندما يكرهُ بجنونٍ!
فنحن عندما نُحبُّ لا نرى العيوب، وعندما نكرهُ لا نرى الحسنات!
دخلتْ بثينة على عبد الملك بن مروانٍ فقال لها:
ما أرى فيكِ شيئاً مما كان يقوله جميل!
فقالت له: إنَّه كان ينظرُ إليَّ بعينينِ ليسَتَا في رأسك!
يا صاحبي: من الجميل أن تعلم أنَّنا نرى بقلوبنا أكثر ما نرى بعيوننا،
فلا تحكم على ذوق إنسانٍ ما لم يكن قلبُه في صدركَ!

108
تعيشُ من لم يكن في حياته متَّسع للهِ!

في كتابِ عيونِ الأخبارِ لابن قُتيبة:
كانت امرأةٌ من التَّابعين تقول:
سبحانكَ، ما أضيقَ الطَّريق على من لم تكن دليله،
سبحانكَ، ما أوحشَ الطَّريق على من لم تكن أنيسه!
يا صاحبي، ما أتعس أولئك الذين ليس لله في حياتهم متَّسع!
أين يذهبون بصدورهم حين تضيق، وكلَّ الصُّدور تضيق؟!
أين يُلقون أحمال قلوبهم، وفي كلِّ القلوب أحمال؟!
بمَ يتعزَّون حين يفقدون، وما منَّا من أحدٍ إلا وفقدَ؟!
وبمن يُنزلون حاجاتهم، وكلَّنا أصحاب حوائج؟!
يا لتعاسةِ حياةٍ خاليةٍ من اللهِ!

109

العِفَّةُ أجملُ مستحضراتِ التَّجميل!

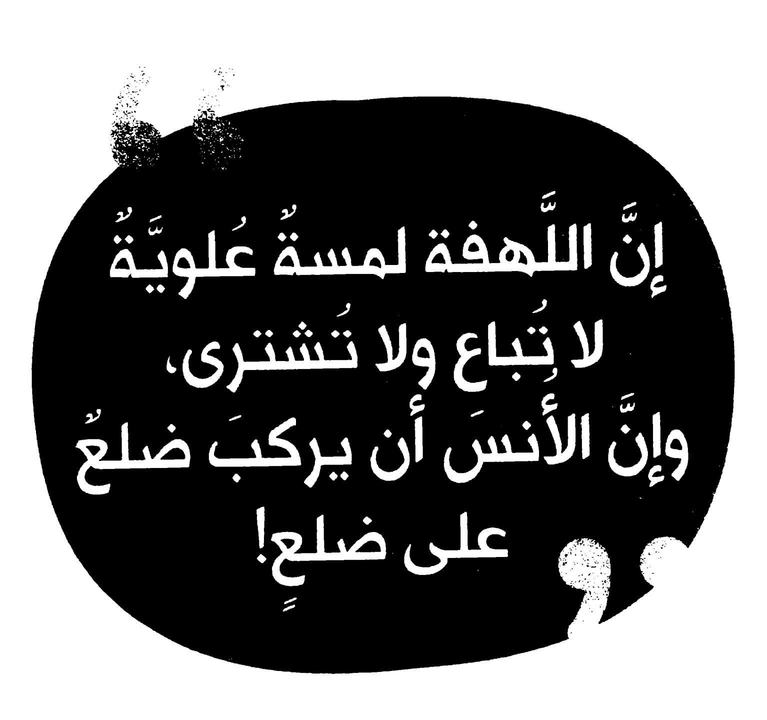
في كتابِ عيونِ الأخبارِ لابنِ قُتيبة:
دخلَ على امرأةٍ قريبٌ لزوجها، وكانت واضعة خمارها،
فحلقتْ رأسها، وقالتْ: ما كان ليصحبني شعرٌ نظرَ إليه غير ذي محرم!
يا صاحبي: العفَّةُ أجمل مستحضرات التَّجميل!
فكلُّ أصباغِ الدُّنيا لا تساوي لمسةُ حياءٍ على وجه المرأة!
ما أحبَّ اللَّه صفةً في النِّساء بعد الإيمان كالحياء،
لهذا عندما حدَّثنا عن بنت العبد الصالح مع موسى عليه السَّلام قال لنا:
﴿فَجاءَتهُ إِحداهُما تَمشي عَلَى استِحياءٍ﴾
خطواتٍ حيِيَّةٌ أحبَّها الله فخلَّد ذكرها في كتابه!

110
الإنسانُ يهلكُ حين تُخدِّرهُ معاصيه!

في كتابِ المدهشِ لابنِ الجوزيِّ:
إذا وجدتَ في قلبك ظُلمةً بعد معصيةٍ ارتكبتها،
فاعلَمْ أنَّ في قلبكَ نوراً، لولاه ما وجدتَ تلك الظُّلمة!
يا صاحبي: القلبُ الميِّتُ لا تُؤثِّرُ فيه نبال الذُّنوب،
والقَلبُ الحيُّ هو الذي يشعرُ بوخزة الذَّنب!
فما دامتْ ذنوبُكَ تُحزِنك وتكسِرك وتُدمِيك فأنتَ على خير!
إنَّ من تمام بشريَّتنا أن تقع منَّا المعاصي،
ومن تمام عبوديتنا للهِ أن نستغفرَه إذا ما عصيناه!
إنَّ الإنسان لا يهلكُ حين يعصي،
إنَّ الإنسان يهلكُ حين تُخَدِّره معاصيه!

111
الدُّعاء عبادة ولو لم تتحقَّقِ الإجابة!

في كتابِ المدهشِ لابنِ الجوزيِّ:
قد يكونُ امتناعُ إجابةِ الدُّعاء لآفةٍ فيك،
فربَّما يكون في مأكولك شُبهة،
أو قَلبُكَ وقت الدُّعاء في غفلة،
أو لذنبٍ ما صدقتَ في التَّوبة منه!
يا صاحبي: قدِّمْ للّهِ ما يُحِبُّ، ثم سَلْهُ ما يُحِبُّ!
اللّه تعالى لكرمه أجاب دعاء إبليس وهو شرٌّ خلقهِ،
فأَنْظَره إلى يوم يُبعثون كما طلبَ!
فلا تتوقف عن الدُّعاء ولو كنت على معصيةٍ،
فالدُّعاء بحدِّ ذاته عبادةٌ أُجِيبَ أو لم يُجَبَ!
ولكن من أدبِ السَّائل ألا يعصي من حاجتُه عنده!


إنَّ اللَّهفة لمسةٌ عُلويَّةٌ
لا تُباع ولا تُشترى،
وإنَّ الأنسَ أن يركبَ ضلعٌ
على ضلعٍ!

112

هذا عن أحمد بن حنبل!

قالَ ابنُ الجوزيِّ في كتابِه صيدِ الخاطر:
رأيتُ أقواماً أهملُوا نظرَ اللهِ إليهم في الخلوات،
فمحَا الله محاسنَ ذِكرهم، فكانوا موجودين كالمعدومين،
لا حلاوةَ لرؤيتهم، ولا القلبُ يحنُّ إليهم!
يا صاحبي: الجزاءُ من جنس العمل!
ومن هتكَ السِّتر الذي بينَه وبين الله،
هتَك الله السِّترَ الذي بينه وبين النّاس!
وكفى بالمعاصي عقوبةً أن يجعلَ صاحبها مبغوضاً عند النَّاس،
وكفى بالطَّاعات جزاءً أن تضَعَ لصاحبها القبول في الأرض.
كان أحمدُ بن حنبلٍ في إقامته الجبريّة بأمر السُّلطان،
والمجاهدون على الثغور إذا نصبوا مجانيقهم ورمُوا الأعداء،
قَالوا: اللهُمَّ هذا عن أحمد بن حنبل!

113
العِبرة بمن أنتَ عند الله!

قال ابنُ الجوزيِّ في كتابه ذمُّ الهوى:
لا يغرّكِ المادحون، ولا يضرَّكَ القادحون،
قال الله تعالى: ﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾!
يا صاحبي: إن مدَحَك النَّاسُ شرقاً وغرباً، طولاً وعرضاً،
فالعِبرة بمن أنتَ عند الله!
وإن جهِلوا فضلكَ فلا تبتئس، يكفي أنّ اللهَ تعالى يعلمُ من أنت!
في القرآن الكريم، لم يُحدِّثنا اللهُ تعالى إلَّا عن خمسةٍ وعشرين نبيّاً،
وأكثر من مئة ألف نحن لا نعلم عنهم شيئاً ولكنَّهم أنبياء!
فلا تتهافت لتُعرفً، فقط كُن عبداً لله كما يريد الله،
ثُمَّ اُتركْ له الأمر، إن شاء أظهَرَكَ، وإن شاء أخفاكَ!

114
اللهُمَّ أنتَ ربُّ هذه المُضغَة!

قال ابن الجوزيِّ في كتابه ذمُّ الهوى:
إن غلبكَ الهوى، فاستغِثْ بصاحب القلب!
يا صاحبي: من استقامَ أحدٌ للّهِ بقوَّتِه ولكن الحافظَ أقبَلَ!
أما ترى أنَّ الله تعالى قال لنبيِّه:
﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كدتّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾؟
وما عصى الله أحدٌ غلبةً، ولكنَّ العاصِم أعرضَ!
أما ترى أنّ الله تعالى قال حكايةً عن عبده يوسف:
﴿كذلك لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾!
فإن كان لكَ ذنبٌ قد غلبكَ، فضَع يدكَ على قلبك وقُل له:
اللهمّ أنتَ ربُّ هذه المُضغة فأصلِحها لتُرضِيكَ!

115
ما كان لله يبقى!

في كتاب صِفة الصَّفوة لابن الجوزيِّ:
قال محمَّد بن الحنفيَّة للمنذر:
كلَّ ما لا يُبتغى به وجه اللهِ يضمحلُ!
يا صاحبي: ما كان لله يبقى!
عندما أرادَ الإمامُ مالك أن يؤلِّف المُوطَّأ قالوا له:
ما حاجة النّاس لموطَّئِك والموطَّآت كثيرة!
فقال لهم: ما كان للَه يبقى!
وبقِي موطَّأ مالك، لأَنَّ مالكاً كان للّهِ!
كلُّ خطوةٍ تخطوها في هذه الحياة اجعلها للّه تجِدْ أجرها،
لأنَّ كلَّ عملٍ أُريد به وجه النَّاس نُزِع منه البركة والأجر!

116
إن لم تستطعْ تركَ معصيةٍ زاحِمْها بالطَّاعات!

في كتابِ تاريخِ دمشق لابنِ عساكر:
قال عثمان البتيُّ: رأيتُ جريراً ما يسكتُ عن التَّسبيح،
فقلتُ له: وما ينفعكَ على كثرة هجائك؟
فقال: إنَّ الحسنات يُذهبنَ السَّيِّئات، وعدٌ من الله حقٌّ!
يا صاحبي: إن لم تستطع ترك معصيةٍ زاحمها بالطَّاعات!
إن فتحَ الشَّيطانُ بينك وبينه باباً،
فافتحْ لكَ أبواباً بينك وبين الله،
ترتجي أن تُغلقَ لكَ هذه الأبواب ذاك الباب!
تعاملْ مع الذُّنوب كما تتعامل مع الأوساخ في ثوبك،
أليستْ كلما اتَّسخت ثيابك غسلتها؟!
فاغسلْ بالطاعات أوساخ الذُّنوب أوَّلاً بأوَّل ولا تجعلها تتراكم!

117
إلَّا ما مخافةَ أن أُبتلَى به!

في كتابِ المجالسةِ وجواهر العلم للدينوريِّ:

قال إبراهِيمُ النَّخعيُّ: إِنيِّ لأرى الشّيءَ مما يُعاب،

فما يمنعني أن أتكلم به، إلَّا مخافة أن أُبتلى به!

يا صاحبي: لا تكُن من الشَّامتين حتى لا تكون غداً من المُبتَلين!

وقال ابن سيرين: عيَّرت رجلاً بالإفلاس، فأفلستُ!

وقال ابن عمر: لو عيَّرَتُ امرأة بالحملِ لخشيتُ أن أحبل!

فاحمدِ الله على العافية، فليس بينك وبين المبتلى إلا رحمة الله!

وليس بينك وبين المفضوح إلَّا سِتر الله،

فلا تعمدْ إلى ستر الله عليكَ وتنزعه بيديك!

118

لا تغسِلْ ابنِي بالماءِ البارد!

في كتابِ الزُّهد لهنَّادِ بن السَّريِّ:
قالَ عروةُ بن الزُّبير بن العوَّام:
ما برَّ والِدَه من شدَّ الطَّرفَ إليه!
يعني نظرَ إليه بحِدَّةٍ عند الغضبِ وإن لم يتكلَّم!
يا صاحبي: مشكلتنا أنَّنا لن نعرفَ قيمة الآباء والأمَّهات،
إلَّا عندما يصبح لدينا أولاد، ونصير آباء وأمَّهات!
مرِضَ ولدٌ للحسن البصريِّ فأخذَه إلى الحجَّام،
كان الحجّام يحجمه، والحسن وراء ظهره يبكي!
ومات لأمِّ قيس بن محصن ولدٌ صغيرٌ،
فقالت للمُغسِّل: لا تَغسِل ابني بالماء البارد فتؤذيه!
هذه هي قلوب الآباء والأمهات،
أعرفتَ الآن لماذا جعل الله بِرَّ الوالدين عبادة؟!

119

لا تطلبْ من اللهِ ما تحبُ، وتقدِّمْ إليه ما يكره!

في كتابِ المعرفةِ والتَّاريخ للإمام الفَسَويِّ:
قال التّابعيُّ الجليل أبو حازم:
ما أحببتَ أن يكونَ معكَ في الآخرةِ فقدِّمه اليوم،
وما كرهتَ أن يكون معكَ في الآخرةِ فاتركه اليوم!
يا صاحبي: إنَّ المعادلة سهلة:
كلُّ معصيةٍ تخشى الموتَ لأجِلها دَعْها،
وَكلُّ طاعةٍ تحبُّ أن تلقى الله عليها فالزمها!
وكلُّ علاقةٍ تخجل أن تقف بين يدي الله وأنت عليها فاتركها،
وكلُّ صُحبةٍ ترجو بها وجه الله فداوِمْ عليها!
إنَّ أسوأ معادلةٍ نتعامل فيها مع الله:
أن نطلبَ منه ما نحِبُّ، ولا نتركَ له ما يكره!

120
كلُّ توبةٍ هي إسلامٌ جديدٌ!

في سِيرِ أعلامِ النُّبلاء للإمامِ الذَّهبيِّ،
قال أحمد بن عاصم: أَصْلِحْ ما بقيَ، يُغْفَر لكَ ما مضى!
يا صاحبي: ما أكرم المسلم على الله!
يعصِيه دهراً ثمَّ يأتيه فيقبله من أوَّل لحظة!
يبتعد عنه عُمْراً ثمَّ يقتربُ منه فيدنيه!
يبارزه بالمعاصي ثم يأتيه منكسراً فيطوي له الصّفحة!
وكأنِّي بعمرو بن العاص حين جاء مسلماً،
قال: يا رسول الله، إنِّي أريدُ أن أشترط!
فقال له النَّبيُّ ﷺ: تشترط ماذا يا عمرو؟
فقال: أن يُغفر لي قتالك يا رسول الله!
فقال: أما علمتَ يا عمرو أنَّ الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله!
يا صاحبي: كلُّ توبةٍ هي إسلامٌ جديدٌ، فأبشِرْ!

121
جِوَار الطَّيِّبين من النِّعَم!

في سِيَر أعلام النُّبلاءِ للإمام الذَّهبيِّ:

أرادَ جارٌ لأبي حمزة السُّكريِّ أن يبيع داره،

فقيلَ له: بكم؟

فقال: بألفين ثمن الدَّار، وبألفين جوار أبي حمزة!

فبلغ ذلكَ أبا حمزة، فبعثَ إليه بأربعة آلاف، وقال له: لا تبِعْ داركَ!

يا صاحبي: إنَّ جوار الطَّيِّبين من نِعَم الدُّنيا!

الجارُ قبل الدَّار لم تقلها العربُ عبثاً!

والرَّفيق قبل الطَّريق لم تقلها العربُ إلَّا عن تجربة!

والله إنْ صفتِ القلوب وجد النَّاسُ في خُرم الإبرة متَّسعاً،

وإن تعكَّرتَ بالأحقاد ضاقت الأرض بما رحبت!

فسلِ الله دوماً أنا يجعلك طيّباً، ويهبك جوار الطَّيِّبين!

122
استعمِلْ أخلاقَ الأطفال!

قال ابنُ الجوزيِّ في كتابه المدهش:

إذا جلست في ظلامِ اللَّيل بين يدي سيِّدك، فاستَعمِلْ أخلاقَ الأطفال!

فإنَّ الطِّفلَ إذا طلبَ من أبيه شيئاً فلم يعطه، بكى عليه حتَّى يأخذه!

يا صاحبي: إنَّ اللهَ يُقبلُ على المقبل عليه، ويُعرضُ عن المعرضِ عنه!

فإيَّاك أن تبرَح بابه، فمن أدام قرع البابِ، أوشكَ أن يُفتح له!

عامِل الله بالخُلُق الذي يُحِبُّه من عبده!

اللَّهُ يُحبُّ أن يغفر، فاستغفره دوماً،

والله يُحبُّ أن يُسأل، فسله على الدَّوام،

جاء في الأثر، أنَّ الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام:

يا موسى، سَلْني مِلحَ عجينتك، وعلفَ دابَّتك!

123
واعلَمْ أنَّ من ورائِكَ حَكَماً!

في كتابِ زهرِ الآدابِ وثمرِ الألباب للقيراونيِّ:
قال الأصمعيُّ: سمعتُ أعرابيَّةً تقولُ لرجلٍ تُخاصمه:
خَفِ الله، واعلَمْ أنَّ من ورائِكَ حَكَماً،
لا يحتاجُ المُدَّعي عنده إلى إحضار بيِّنة!
يا صاحبي: في الدُّنيا قد تضيع الحقوق، ويفتري القويُّ على الضَعيف،
ولكن لأجل القصاص كان يوم القيامة،
حتَّى أنَّ الله سيقتصُّ للدَّابة التي ليس لها قرون،
قد نُطِحَت من دابَّةٍ لا قرون، وهم دواب، فكيف بالنَّاس!
قبل فوات الأوان: أَعِد الحقوق لأهلها،
كُفَّ أذاكَ، وارفَعِ الظُّلْمَ عن النَّاس،
ألا تعلم معنى أن ينتظر أحدهم الثُلثَ الأخير من اللَّيل ليدعو عليك!

124

من قَنَعَ طابَ عيشُه!

في كتابِ سيرِ أعلامِ النُّبُلاء للإمام الذَّهبيِّ،
قال ابنُ الجوزيِّ: مَن قَنَعَ طابَ عيشُه، ومن طمِعَ طال طيشُهُ!

يا صاحبي: كان عمر بن الخطاب يقول:
إنّ الخيرَّ كلَّه في الرضى،
فإن استطعت فارضَ، وإن لم تستطع فاصبر!
يا صاحبي: هذه الدُّنيا أرزاق مقسومة،
من رضِيَ سَعِدَ، ومن سَخِطَ شقِيَ،
ولن ينال من شقائه أكثر مما كُتِب له!
فاللهمَّ ارزقنا الرِّضى!

125

لا عيبَ أن تقول: لا أعلم!

في كتاب سير أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:

سُئِلَ الشَّعبيُّ في مسألةٍ، فقال: لا أدري!

فقيلَ له: ألا تستحي أن تقول لا أدري وأنتَ فقيه العراق؟!

فقال: إنَّ الملائكة لم تستَحِ حين قالت: ﴿سُبحانَكَ لا عِلمَ لَنا إلّا ما عَلَّمتَنا﴾

يا صاحبي، مشكلتنا في هذا الزَّمن أننا نُعاني من عُقدة الإفتاء!

في كلٍّ منّا مُفت صغير لا يعرف أن يقول لا أدري!

أحدهم لا يعرفُ من الفقه إلا الوضوء ويُفتي في الأسهم!

وآخر لا يعرفُ حروف الإخفاء من حروف الإظهار ويُفتي في المواريث!

وثالثٌ يُضعِّفُ حديثاً، ويُصحِّحُ آخر بحسب المزاج!

لا عيبَ أن تقول: لا أعلم!

النَّبيُّ ﷺ وهو النَّبيُّ، كان إذا سُئلَ عن الأمر، وليس عنده علم فيه، لم يقل فيه حتى ينزل عليه الوحي!

126

أن تسيطر على نفسك لا على الآخرين!

قال ابنُ القيِّم في كتابه إغاثة اللَّهفان:
النَّفسُ كالشَّريك الخوَّان، إنْ لم تُحاسبه، ذهَبَ بمالك!
يا صاحبي: تعامل مع نفسك كما تتعامل في تربية ابنك!
من المُهمِّ أحياناً أن تقول للطِّفل: لا!
وبعض التَّصرُّفات لا يمكن لكَ أن تمررها،
بل عليكَ أن توقفه فيها عند حدِّه كي لا تصبح خُلقاً!
وهذه النَّفسُ طِفْلٌ، إن تُرِكَ لها الحبلُ على الغارب فسدتْ،
وإن شَددتَ وِثاقها وحملتها على الحقِّ انقادتْ لكَ!
وإنَّ الغاية العظمى من الدِّين، أن تسيطر على نفسك لا على الآخرين!

127
اتَّقِ اللّٰه تَشْرُفْ!

في كتابِ بهجةِ المجالسِ لابنِ عبد البرِّ :
سمع سُوارٌ القاضي الحجَّاجَ بن أرطأة يقول:
أهلكني حُبُّ الشَّرف!
فقال له: اتَّقِ اللّٰه تَشْرُفْ!
يا صاحبي: إنَّ اللّٰه يرفعُ بهذا الدِّين أقواماً ويضع به آخرين!
فلا تكُن عبد الظُّهور، ولكن كُن عبداً للّٰه،
إن شاء أظهرك، وإن شاء أخفاكَ،
وما طلب أحدٌ الظُّهور إلَّا ولاقى منه ما لاقى،
وما طلبَ أحدٌ الخفاء إلَّا وضع اللّٰه له قبولاً في الأرض،
كان أحمد بن حنبل يدعو: اللهمَّ أمتني ولا يعلم بي أحد!
فأماته اللّٰه وهو حافظ السُّنَّة ولا يجهله أحد!


هناك فرقٌ
شاسع بين الحُبِّ،
وبين حُبِّ التَّملُّك،
الحُبُّ إيثارٌ لا استئثارٌ!

128

الصَّاحِبُ سَاحِبٌ!

في كتابِ المجالسةِ وجواهرِ العلم للدينوريِّ:

قال داودُ بن أبي هند: جالستُ الفقهاء فوجدتُ ديني عندهم،

وجالستُ أصحاب المواعظ فوجدتُ الرِّقة في قلبي،

وجالستُ شِرار النَّاس فوجدتُ أحدهم،

يطلِّقُ امرأته على شيءٍ لا يُساوي حبَّة شعير!

يا صاحبي: مِن أجمل ما قالت العرب: الصَّاحبُ ساحبٌ!

كلبٌ خلَّدَ اللهُ ذكره في القرآن لأنَّه اختار رفقةً صالحة!

وتذكَّر جيّداً أنَّ هذا القلب وعاءٌ يفيض على الجسد بما يُملأ به!

متابعةُ التَّافهين ستحوِّلُك نهاية المطاف إلى تافه!

وتتبُّع أخبار الآخرين سيجعلك تعيش في حياتهم لا في حياتك!

اقرأ تجِدْ، واسْعَ تصِل، واغرِسْ تحصد،

رطِّب لسانك بالذِّكر، ورقِّق قلبك بالقرآن، وعلِّق روحك بالطَّاعات،

نحن في هذه الدُّنيا ضيوفٌ وبيوتنا في الآخرة تُبنى بأعمالنا!

129
اِجعلْ لكَ عندَ اللّهِ خبيئة!

في سِيَر أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:
صامَ داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلمُ به أهله!
كان يحملُ غداءه وهو ذاهبٌ إلى دكانه في السوق،
فيتصدَّق به، ويرجع مساءً فيفطر مع أهله ويحسبونه يتعشّى!
يا صاحبي: اِجعلْ لكَ عند اللّهِ خبيئة!
صدقةٌ تضعها في يد فقيرٍ دون توثيق،
وِردٌ من القرآن تلزمه ولا يدري به أحد،
ركعتي قيامٍ فِي جوف الليل تتسلَّلُ فيهما كي لا يشعر بك أهلك،
أذكارٌ وتسابيح واستغفار بينك وبين اللّه،
قضاءُ حاجةِ إنسانٍ تُبقيها سرّاً كما لو كانت عيباً،
أكثرْ من الخبايا الصالحة، فإنَّ اللّه يُحبُّها!

130
الخوفُ من تولِّي المنصب!

في سِيَر أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيّ:
كان أيوبُ السِّختياني صديقاً ليزيد بن الوليد،
فلمَّا ولِيَ يزيدُ الخلافة، قال أيُّوب: اللهم أَنسِهِ ذكري!
يا صاحبي: اعملْ جاهداً ألا تخسر قلبك!
مجالس الحُكم، والمال، والأعمال، والشُّهرة مُفسدة للقلب!
زُرِ المقابر فإنَّها ستذكِّرُك بحقيقة الدُّنيا!
وعُدِ المرضى فإنَّك ستستشعر نعمة الله عليكِ!
جالس البُسطاء فإنَّ بهم يُرزق الخلق!
عندما أراد سعد بن أبي وقاص نصيباً من الغنائم،
أكبر من نصيب الضُّعفاء الذين يُقاتلون في الصفوف الخلفية!
قال له النَّبيُّ ﷺ: ثكلتك أمك، وهل تُنصرون وتُرزقون إلَّا بضعفائكم!

131
العاقل هو الفَطِنُ المُتَغابي!

في كتاب مكارم الأخلاق لابن أبي الدُّنيا:

قال أيوب السِّختيانيُّ: لا ينبلُ الرَّجل حتَّى يكون فيه خصلتان:

العِفَّة عمَّا في أيدي النَّاس، والتَّجاوز عمَّا يكون منهم!

يا صاحبي: من أكثر الطلب سقطَ من العيون وإن أُعطيَ،

ومن أعزَّ نفسه ارتفعَ وإن حُرِم،

ومن وقف للنَّاس على الحرف سيغدو نهاية المطاف وحيداً،

إن طلبتَ زوجةً بلا عيبٍ ستمضي حياتك أعزبَ،

وإن طلبت أقرباء ملائكة ستمضي حياتك قاطعاً رحمك،

التَّغاضي من شيم الكرام،

أما رأيت كيف أسرَّها يوسف يا نفسه ولم يُبدها لهم!

وكان الإمام أحمد يقول: تسعة أعشار العافية في التَّغافل!

وكان الإمام الشافعيُّ يقول: العاقل هو الفَطِنُ المُتَغابي!

132
سعيُ البدن، وإيمانُ الرُّوح!

في كتاب الزُّهد للإمام أحمد بن حنبل:

قال مسلم بن يسار: اعمل عملَ رجُلٍ ليس له إلا عمله،
وتوكَّل على الله توكُّلَ رجلٍ لا يصيبه إلَّا ما كتب الله له!

يا صاحبي: خُذْ بالسببِ كأنَّه كلُّ شيءٍ، وتوكَّل على الله
كأنَّ الأسباب لا شيء!

اعملْ بجوارحك كأنَّك الذي ترزق نفسك،
واملأ قلبكَ إيماناً أنَّ ليس لكَ إلا ما كُتِبَ لك!
واذهب إلى الطَّبيب كأنَّ بيديه الشِّفاء،
واملأ قلبكَ إيماناً أنَّه ليس له من الأمر شيء!
وأطلبِ الولدَ من الزَّواج كأنَّك الذي تخلُق،
واملأ قلبك إيماناً أن ما أراده الله كان وما لم يُرِده لم يكن!
لا تكن هذا الماديَّ السَّخيف، ولا ذاك الرُّوحانيَّ السَّاذج،
السِّرُّ كلُّه في هذه الخلطة: سعيُ البدن، وإيمانُ الرُّوح!

133
لا أُعِينك على خيانة السُّلطان!

في كتابِ تاريخِ بغداد للخطيب:

لمَّا حُبسَ ابنُ سيرين قال له السَّجان:

إذا كان الليل فاذهب إلى أهلك، فإذا أصبحتَ فتعال!

فقال له ابن سرين: لا واللّه، لا أُعينك على خيانة السُّلطان:

يا صاحبي: لا تُعن أحد على معصية وإن كنت المستفيد!

إنّ النَّبيل يحفلُ بدين النَّاس كما لو كان دينه،

ويحاول ما استطاع أن يمنع عنهم الوقوع في الإثم،

كان إبراهيم النَّخعيُّ أعور، وتلميذه سليمان بن مهران أعمش!

فقال إبراهيم لسليمان، خُذ طريقاً وآخذُ أنا آخر.

أخشى إن مررنا بالنَّاس أن يقولوا: أعور وأعمش، فيأثمون!

فقال له سليمان: يا أبا عمران، وما عليك أن نُؤجرَ ويأثمون؟!

فقال له: سبحان اللّه، بل نسلم ويسلمون، خيرٌ من أن نُؤجر ويأثمون!

134
بين الخوفِ والرَّجاء!

في كتابِ حلية الأولياء للأصبهانيِّ:
قال حمّاد بن سلمة: لو خُيِّرتُ بين محاسبةِ الله لي ومحاسبة أبي،
لاخترتُ محاسبة الله، لأنَّه أرحمُ بي من أبي!
يا صاحبي: ما خلقنا الله تعالى ليعذِّبنا،
ولكن الأشقياء من النَّاس يُبارزونه بالمعاصي،
مبارزة الفاجر الذي لا يدع بينه وبين الله باباً يدخل منه!
أما العارفون فهم بين الخوف والرَّجاء،
الخوف من أن تغلب عليهم معاصيهم، وتكثر سيئاتهم،
والرَّجاء بأنّ هذا الرَّب رحيمٌ وهو أرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا!
فابقَ هكذا بين الخوفِ والرَّجاء،
لا تستصغرّ ذنباً، ولكن أنظر إلى عظيم من عصيتَ!
ولا تقنطْ من رحمة الله، الله أجل من أن يُعذِبّ قلباً يُعظِّمه!

135
دفعَ الصَّحابةُ ثمن الصُّحبة غالياً!

في كتابِ صفةِ الصّفوةِ لابنِ الجوزيِّ:

سُئل سعيد بن جُبير: بِمَ نالَ العشرةُ المبشرون بالجنَّة هذا الشّرف؟

فقال: كانوا أمامَ النَّبيِ صلَّى الله عليه وسلم في القتال، وخلفه في الصّلاة!

يا صاحبي: إنّ الصَّحابة لم ينالوا شرف الصُّحبة صُدفةً، أي صادف وجودهم زمن بعثته، فأسلموا،

فقد عاصر النّبيَّ صلَّى الله عليه وسلم كثيرٌ كبَّهم الله في النَّار!

لقد دفعَ الصَّحابة ثمن الصُّحبة غالياً!

حوصِروا في الشِّعب، وتركوا ديارهم إلى الحبشة،

بلغت قلوبهم حناجرهم يوم الخندق،

ونفرت دماؤهم، وتطايرت أشلاؤهم في المعارك،

وبذلوا أموالهم، وجهزوا الجيوش، وقارعوا الإمبراطوريات،

فإن قيل إنَّ الصُّحبة اصطفاء، فقُلْ نعم، ولكنَّهم أدَّوا حقَّها!

136
وقد سَددتَ طريقها بالذُّنوب!

في سيرِ أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:

قال يحيى بن معاذ: لا تستبطئ الإجابة، وقد سددت طريقها بالذُّنوب!

يا صاحبي: أحياناً تتأخر الإجابة بذنب أنتَ مقيم عليه،
والله ينتظرُ توبتك منه ليعطيك!
فإن كان لكَ دعوة تأخرتْ، فراجعْ نفسك!
وانظرْ في ذنبٍ يحتاج اقلاعاً،
فلعلَّه هو الذي يحول بين دعائك وإجابة الله له!
إنّ الله تعالى ما أمر بالمسألة إلَّا لأنَّه يريد أن يُعطي،
وإنّ المنع في كثير من الأحيان كامنٌ فينا،
فراجعْ نفسك!

137
أتريدُ أن تسلم أنتَ؟!

في سيرِ أعلام النَّبلاء للإمام الذَّهبيّ:

قال الإمام الشَّافعيُّ: ليس إلى السَّلامة من النَّاس من سبيل،

فانظرْ إلى ما فيه صلاحُ أمرك فالزَمْه!

يا صاحبي: من ظنَّ أن يسلم من النَّاس فإنَّه لا يعرفُ النَّاس!

أليس النَّاس هم الذين كذّبوا نوحاً عليه السّلام ألف عام؟!

أليس النَّاس هم الذين نشَرُوا زكريا عليه السَّلام بالمنشار؟!

أليس النَّاس هم الذين قطعوا رأس يحيى عليه السّلام وجعلوه مهراً لبغيٍّ؟!

أليس النَّاسُ هم الذين رجموا نبيَّك صلَّى الله عليه وسلم؟!

وقالوا عنه: ساحرٌ، وكذّاب، ومجنون!

حتَّى الله جلَّ في عُلاه أساء النَّاسُ معه الأدب!

قالوا عنه: فقير، ويداه مغلولتان، ونسبوا له الزَّوجة والولد!

أتريدُ أن تسلم أنتَ؟!

138
التفرُّغ للأزواج!

قال السُّهيليُّ في كتابه الرَّوضُ الأُنُف:

عادة نساء العرب التّفرّغ للأزواج!

يا صاحبي: إنّ عمل المرأة في بيئةٍ آمنةٍ شرعاً وعِرضاً لا شيء فيه،

وهناك مجالاتٌ لا بُدّ أن تعمل فيها النِّساء،

فلا يستقيم ألا نعرض زوجاتنا على الأطباء الذُّكور،

ثمّ نكون ضدّ أن تتعلم المرأة الطِّبَّ وتمارسه، فالطبيبات لا يأتينَ من المرّيخ!

ولكن أسوا ما حشتْ به الحضارة الغربيَّة عقول النِّساء،

هو أنَّ المرأة لا تُحقق ذاتها إلّا إذا كان لها عمل ومهنة!

وحين نقول إنَّ بيت المرأة أولى بها،

فلسنا نُقلل من عمل المرأة وإنّما نُعلي من دور الزَّوجة والأم!

المرأة العاملة تعرف أكثر من غيرها أنَّها تعمل أولاً عل حساب نفسها،

ثمَّ على حساب زوجها وأولادها،

المرأة لم تُخلق للإنتاج، والتدافع في سُبل الرَّزق،

المرأة خلقت لتكون سكناً، تُحِبُّ وتُحَبُّ، وتَلِدُ وتربي!

139

طبعُ الخنازير!

قالَ ابنُ القيِّم في كتابهِ مدارج السّالكين:
من النَّاس من طبعه طبع خنزيرٍ، يمرُّ بالطَّيِّبات فلا يلتفت لها،
ويرى المحاسن فلا يحفظها ولا ينقلها،
وإذا رأى سقطةً أو كلمةً عوراء وجد بُغيته وجعلها فاكهته!
يا صاحبي: إنّ أسواً ما يُبتلى به المرء هُم النَّاس الذين يتصيَّدون الأخطاء!
تفعلُ ألف صوابٍ فلا تسمع كلمةَ ثناء،
وعند أوَّل خطأٍ يجعلونك شيطاناً رجيماً!
تصبرُ على أذاهم ألف مرَّة فلا تسمع حمداً،
وحين تنفجِرُ تصبحُ أنت السّيء في الحكاية!
الذُّبابة تترك ألف وردة حولها وتحطُّ على القمامة،
فسَلِ الله دوماً أن يُعيذك من ذباب النَّاس!

140
التَّملُّق داءُ العصر!

في سيرِ أعلام النُّبلاءِ للإمام الذَّهبيِّ:
قال وهب بن منبِّه:
إذا سمعتَ من يمدحك بما ليس فيكَ، فلا تأمنه أن يذمَّكَ بما ليس فيك!
يا صاحبي: إنّ التَّملُّق داء العصر!
إذا أراد أحدهم منكَ حاجةً رفعكَ إلى السَّماء،
وإن كان له عندكَ بُغية نظم فيك قصائد المديح،
هؤلاء لا صديق لهم إلَّا حاجاتهم ومصالحهم،
فإذا انقضت الحوائج زالت الأقنعة وبدت الوجوه الحقيقية،
فإيَّاك أن تأمن متملِّقاً قط،
هؤلاء مدَّاحون من غير فضيلة، ذمَّامون من غير رذيلة!

141
اللهمَّ إِنَّا استودعناكَ قلوبَنا!

قال ابنُ القيّم في كتابه مدارج السّالكين:

لا تغترَّ بكثرة العبادة، فإنّ إبليسَ بعد طُولِ العبادةِ لقيَ ما لقي!

يا صاحبي: إنّ القلوبَ تتقلّبُ فسَلِ الله الثَّبات!

جاء السَّحرةُ صباحاً لينازلوا موسى عليه السَّلام بعزّة فرعون،

وفي المساء كانوا شهداء مؤمنين مصلوبين على جذوع النَّخل!

خلّد القرآن ذكرهم، وأعلى شأنهم!

وعبرَ بنو إسرائيل البحرَ مع موسى عليه السّلام مؤمنين،

فلمَّا صاروا إلى الضِّفة الأخرى عبدوا العجل!

فاللهمّ إنَّا استودعناك قلوبنا فثبِّتها لنا على دِينك!

142
أنتَ عبدٌ، فتأدّب!

قال ابنُ القيِّم في كتابه الفوائد:
الرّبُّ سبحانه لا يمنعُ عبده المؤمن شيئاً من الدُّنيا،
إلَّا ويُؤتيه أفضل منه، وأنفع له!
يا صاحبي: إنّ الطبيب لا يُعطيك الدّواءَ الذي تحبُّه،
ولكنّه يعطيك الدّواء الذي يشفيك!
ولِلّهِ المثل الأعلى، فتأدَّبْ!
أنتَ لا ترى المشهد إلَّا من زاويةٍ واحدةٍ، هي زاويتك أنت!
واللّه يُدبِّر لكَ الأمر من كلِّ الزَّوايا!
كان عمر بن الخطاب يقول: لو كُشفت حُجب الغيبِ،
ما اختار العبدُ لنفسِه غير ما اختاره اللّه له!

143
قيمةُ كلِّ شيءٍ ما يعطيه!

قال ابنُ القيِّم في كتابه طريق الهجرتين:
إنَّ فِي قضاءِ حوائج النَّاس لذَّةً، لا يعرفها إلَّا من جرَّبها!
فافعَلِ الخيرَ ولا تستصغره، فإنَّك لا تدري أيُّ حسنةٍ تُدخلك الجنَّة!
يا صاحبي: أهلُ العطاءِ أسعد بعطائهم من أهل الأخذِ بأخذهم!
اللُّقمةُ في فم الفقيرِ حلاوتها في فمكَ أكبر من فمه،
وجبرُ الخاطر لذَّته في قلبكَ أكبر منها في قلب المنكسر،
وفرحُكَ بقضاءِ حاجة إنسانٍ أكبر من فرحِه بقضاء حاجته،
الشَّمسُ تعطينا الضوءَ والدفءَ، والشَّجرُ يعطينا التَّمر والظِّل،
الغيمُ يعطينا المطرَ، والسَّنابلُ تُعطينا القمح!
قيمةُ كلِّ شيءٍ هي قيمة ما يعطيه،
ولن تشعرَ بقيمةِ نفسك إلَّا حين تُعطي!


الحُبُّ كالماء مهما
حاولت حبسه وراء السَّدِّ،
شيءُ منه سينفلتُ
رغماً عنك!

144
من أُغرِمَ بالوُجهةِ هانتْ عليه المشقَّةُ!

قَال ابنُ القيِّم في كتَابه مدارج السالكين:
تذكَّرْ حلاوةَ الوِصال، يهُنْ عليكَ مُرَّ المجاهدة!
يا صاحبي: صلاة الفجر شاقَّة، يهوِّنها أن تعرف لمن تقوم!
والصِّيام متعبٌ، يُهوِّنه أن تعرف لمن تصوم!
والشَّهوة مستعرة، يُطفى نارها أن تعرف لمن تتعفَّف!
والمال عزيز، يُهوِّن فراقه أن تعرف لمن تتصدَّق!
وكظم الغيظِ صعبٌ، يُهَوِّنه أن تعرف لمن تتغاضى،
واحتمال الأذى مؤلمٌ، يُهوِّنه أن تعرف لمن تتجاهل،
يا صاحبي: إنَّ المرءَ إذا أُغْرِمَ بالوُجهة هانتْ عليه المشقَّة!

145
نحن لا نعرفُ قيمةَ الأشياءِ إلَّا بفقدها!

يقولُ ابنُ القيِّم في كتَابه مدارج السَّالكين:
من ذاقَ لذَّة القُربِ من الله ثمَّ انتكس،
فإنّه يعيشُ في الدُّنيا مُعذَّباً، لا راحة الجاهلين، ولا لذَّة العارفين!
يا صاحبي: إنَّ المرءَ لا يعرف قيمة الأشياء إلَّا بفقدها!
من وُلِد أعمى، ليس كمن أبصر أوَّلاً ثمَّ عَمِي،
ومن ليس له حبيبٌ، ليس كمن أَحبَّ وفقدَ،
إنَّ اللَّذة السَّابقة هي التي تجعلُ الحرمان منها كارثة!
إنَّ أهل الصَّلاح منشغلون بطاعاتهم لا يعرفون غيرها،
وأهل الآثام منشغلون بآثامهم لا يعرفون غيرها،
أمَّا الذي انقطع عن الله بعد وصلٍ، ستبقى حسرته في قلبه،
بعد كلِّ معصيةٍ سيشعر بمرارة الحرمان من الطَّاعة!

146
خُذْ بيدِ أحبابك إلى الله!

قال ابنُ القيِّم في كتابه مدارج السَّالكين:
يأبى الله أن يُدخلَ النَّاس الجنَّةَ فُرادى،
فَكُلُّ صُحبةٍ يدخلون الجنَّة سويّاً!
واقرأ قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُم إِلَى الجَنَّةِ زُمَرًا﴾
يا صاحبي: خُذْ بيدِ أحبابك إلى الله!
فإنَّ الفراق في الآخرة أكثر وحشةً من الفراق في الدُّنيا!
يأسِرُ قلبي فعل تلك الأم التي كانت توقظ أولادها لصلاة الفجر،
وتقول لهم: قوموا، لا أريدُ أن ينقص منَّا في الجنَّة أحدٌ!

147
إيَّاك وأعراض النَّاس!

في كتاب سِيَر أعلام النُّبلاءِ للإمام الذهبيِّ:
قال عمرُ بن عبد العَزيز: أدركنا السَّلفَ،
وهم لا يرون العبادةَ في الصَّوم ولا في الصَّلاة،
ولكن في الكفِّ عن أعراضِ النَّاس!
يا صاحبي: دينُك ليس في المسجدِ، فالجميعُ هناك مؤمنون!
دينُكَ الحقيقيُّ أن تمسكَ لسانكَ عن أعراضِ النَّاس،
وتمسكَ عينيكَ عن أرزاقهم، فلا تحسِد أحداً على ما أُعطيَ،
دينُك في صدقِ المواعيد، وإيفاء العهود، ولينِ الجانب،
دينُك أيُّ ابنٍ أنتَ، وأيُّ زوجٍ، وأيُّ جارٍ، وأيُّ زميلٍ،
يا صاحبي: أجمل العبادات للهِ ما كان حُسنُ خُلقٍ مع النَّاس!

148

التَّربيةُ بالقُدوةِ لا بالتَّنظيرِ!

في كتاب صفة الصَّفوةِ لابن الجوزيِّ:

قال مقاتلُ العتكيِّ: حضرت مع أبي وأخي عند إبراهيم الحربيِّ،

فقال إبراهيم لأبي: هؤلاء أولادك؟

فقال: نعم.

فقال له: احذَرْ، لا يرونك حيث نهاكَ الله فتسقط من أعينهم!

يا صاحبي: الأولادُ لا يسمعون ما نقول وإنَّما يرون ما نفعل!

لهذا فإنَّ التربية الصَّحيحة تكون بالقدوة لا بالتنظير!

برَّ أبويكَ أمام أولادك، يبرُّكَ أولادُك!

أبلغُ من الحديث عن الصَّدقة، أن يروك تتصدَّق!

لن يسمع ابنك شيئاً عن مضارِّ التَّدخين ما دامت السِّيجارة في يدك!

وإلقاء القمامة في مكانها أمامه أبلغ من خطبة عن النَّظافة!

الهيئة التي تريد من أبنائك أن يكونوا عليها كُنْها أمامهم!

149

رُسُل إبليس!

في كتاب صفة الصَّفوةَ لابن الجوزيِّ:

جاء رجلٌ إلى الإمام الشّافعيِّ وقال له: فلانٌ يذكرك بسوء!

فقال له الشّافعيِّ: إن صدقتَ فأنتَ نمَّام، وإن كذبتَ فأنتَ فاسق!

يا صاحبي: أغلقِ الباب في وجوه النمَّامين!

فمن نمَّ لكَ اليوم، سينمُّ عليكَ غداً!

ومن أفشى أسرار مجالس الآخرين، سيفشي أسرار مجلسك!

الناقصُ ناقصٌ سواء معك أو مع غيرك، ولكنَّه الآن دور غيرك!

الاستماع إلى النَّمَّامين يشجعهم، وإغلاق الأبواب في وجوهم يلجمُهم!

جاء رجلٌ إلى وهب بن مُنبِّه، وقال له:

إنِّي مرَرْتُ بفلانٍ وهو يشتمُك!

فقال له وهب: أما وجدَ الشيطانُ رسولاً غيرك!

150
اِعمَلْ خيراً!

في كتاب مكارم الأخلاق للخرائطيِّ:

قال وهب بن منبِّه:

اِعملْ خيراً، ودعه على اللهِ عز وجل!

يا صاحبي: اِصنع المعروف، ولا تنتظر سداده!

فإنَّنا نتعبَّدُ اللهَ في النَّاس!

حتَّى وإن لم يقع المعروف في أهله، يكفيك أنَّه وقع عند الله!

الصَّدقة التي تُريد الثَّناء عليها ليست لله،

وقضاء الحاجة التي تنتظر منها قصيدة مديح ليست لله،

وجبر الخاطر الذي ترتجي منه شكراً ليس لله،

صحيح أنَّنا جميعاً نحبُّ التَّقدير، لأنَ الجحود مؤذٍ،

إلَّا أنَّنا عبيد لله، لا لثناء النَّاس!

151
الألسِنةُ سِهام أيضاً!

في كتابِ مكارمِ الأخلاقِ للخرائطيِّ:
قال سُفيان الثوريُّ:
أن أرميَ رجلاً بسهم، أحبُّ إليَّ من أن أرميه بلساني،
لأنَّ رمي اللِّسان لا يَكادُ يخطئ!
يا صاحبي: إنَّ اللِّسان ليس فيه عظمٌ، ولكنَّه يكسر العظم!
ووقعُ الكلمة في النَّاس أشدُّ وجعاً من وقع السَّيْفَ،
على أنَّ جرح السَّيف يبرأ، وجرح الكلمة يبقى ينزُّ!
كم كلمةٍ قيلت مزاحاً، فلم ينم من قيلت له ليلته تلك،
وكم كلمةٍ قيلت على سبيل التندُّر وكسرتْ خاطر إنسان،
وكم كلمةٍ حلوةٍ قيلت بقي أثرها في القلب أبدَ الدَّهر،
قرأتُ مرَّةً عن قاضٍ كان يتعاهد شيخاً كبيراً بالزِّيارة،
فلمَّا سُئل: هل بينكما قرابة؟
قال: لا، كان جارًا، وعثرتُ وأنا صغير، فأقامني،
وقال لي: هل أصابك شيءٌ يا بُنيَّ!

152

لا تكُنْ أسيرَ النَّاس!

في كتابِ مناقبِ الإمام الشَّافعيِّ للبيهقيِّ:
قَالَ الإمامُ الشافعيُّ: أُنفُضْ عنكَ غبار النَّاس!
فإنك لو أصبتَ في تسع وتسعين وأخطأت في واحدة،
تركَ النَّاسُ ما أصبتَ وَأَسرُّوه، وأخذوا ما أخطأتَ وأعلنوه!
يا صاحبي: النّاسُ هم النَّاس في كلِّ عصرٍ ومِصْر!
من أحبُّوه رفعوه عنان السَّماء،
ومن أبغضوه أنزلوه أسفل سافلين!
قريش كانت من أرفع العرب أخلاقاً،
وكانت تُسمِّى النَّبيَّ ﷺ بالصادق الأمين،
فلَّما جاءهم بالوحيِ: نعتوه بالشَّاعر والمجنون والكذَّاب!
وضعوا أماناتهم عنده، وأرسلوا أولادهم ليقتلوه ليلة الهجرة!
عِشْ لترضِيَ الله، ولا تكن أسير النَّاس!

153
الإحسان قَيْد!

في كتابِ مناقبِ الامام الشّافعيِّ للبيهقيِّ:

قال الإمامُ الشافعيُّ، من برَّكَ فقد أوثقكَ، ومن جفاكَ فقد أطلقكَ!

يا صاحبي: من أجمل ما قالت العرب: الإحسانُ قيدٌ!
من نُبلهم يرونَ أنَّ المعروف لا بُدَّ له من سدادٍ!
فَكُن نبيلاً وتحيَّن فُرصَ السَّداد،
من واسَاكَ في حزنِكَ لا تخذله في حزنه،
ومن شاركك في فرحك فلا يفقدك في فرحه،
صحيحٌ أنَّ الذي يصنع المعروفَ لا ينتظِرُ سداداً،
ولكن أنتَ عليكَ ألا تنسى!

154
لا تجعلْ جروحك مشاعاً!

في كتابِ مناقبِ الامامِ الشّافعيِّ للبيهقيِّ:
قال الإمامُ الشّافعيُّ: جوهر المرءِ في ثلاث:
كتمان الفقر حتَّى يظنَّ النَّاسُ أنَّكَ غنيٌّ،
كتمان الغضبِ حتَّى يَظُنَّ النّاسُ أنَّكَ راضٍ،
كتمان الشِّدة حتى يُظنَّ النَّاسُ أنَّكَ مُتنعِّمٌ!
يا صاحبي: لا تجعل جروحك مشاعاً!
الفقر مؤلم، ولكنَّه أفضل من نظراتِ الشَّفقة في عيون النَّاس!
وقلَّة التوفيق في الزَّواج موجعة جداً،
ولكنَّ البيوت أسرارٌ وليست فاكهةَ المجالس!
وأنت تعرف ما يُقال في وجهك ولا تعرف ما يُقال خلفك!
أَغلِقْ عليك باب صدرك تسلمْ، وأغلِقْ عليك باب بيتك تغنم!

155
الزّواج، جنَّةٌ أم نارٌ؟!

في كتابِ مناقبِ الإمامِ الشّافعيِّ للبيهقيِّ:

قالَ الإمامُ الشافعيُّ: سَمعتُ بعض أصحابنا ممن أثق به، يقولُ: تزوَّجتُ لأصون ديني، فذهب ديني، ودين أمِّي، ودين جيراني!

يا صاحبي: النّاسُ يجعلون من تجاربهم قوانين!

رأي كلِّ إنسانٍ في موضوع ما نابعٌ من تجربته،

وليس بالضرورة من حقيقة هذا الموضوع!

رأيك عن بلدٍ ما مبنيٌّ عن المشاعر التي أحسستَ بها حين عاملتَ أفراداً منه!

لاحظْ أنَّكَ عمَّمتَ تجربةً شخصيَّةً على بلدٍ كبير!

والزَّواج كذلك، المُوفَّقُ فيه سيخبِرُك أنَّه جنَّة، وغير الموفَّقِ سيخبرك أنَّه نارٌ!

بودِّي أن أقولَ لك إنَّه جميل جداً، فتقول: أنت تقول تجربتك؟

ولكنِّي أقول: أحسِن الاختيار، وراقبِ اللّه في شريك عمرك، وأبشِرْ!

156

اللهمَّ ارزقنا رفقة الطَّيِّبين!

في كتابِ مناقبِ الإمام الشّافعيِّ للبيهقيِّ:

قال الإمامُ الشَّافعيُّ: يُرسلُ اللهُ بعضَنا لبعضٍ رحماتٍ!

يا صاحبي: يرحَمُ اللهُ بخلقه، ويُعاقب بخلقه!

فَسبحان من جعل الحُبَّ من أجمل الأرزاق!

فإذا سألتَ اللهَ، فسَلْهُ أن يرزقك الهيِّنين الليِّنين،

الذين إذا خاصموا، خاصموا هوناً،

وإذا نصحوا، نصحوا رِفقاً، وإذا أعطوا الحُبَّ، صبُّوه صبّاً،

النَّقيُّة صُدورهم، الذين لا يحملون حقداً، البيضاءُ فِعالهم، المشهودةُ مواقفهم،

الجميلةُ سرائرهم، الآمنةُ جوانبهم، البشوشةُ وجوههم، الدائمُ ودُّهم!

157
النِّعم فخَاخٌ منصوبةٌ!

في كتاب تاريخ بغداد للخطيب:
قال الحسن البصريُّ: ما أعطى الله أحداً شيئاً إلَّا اختباراً، ولا منعه شيئاً إلَّا اختباراً!
يا صاحبي: هذه الدُّنيا دار امتحان لا دار جزاء!
من أُعطِيَ مُمتحن، ومن حُرِم مُمتحن!
الفقير في امتحانٍ، ولا يجتازه إلا بالرِّضى والصَّبر،
والغنيُّ في امتحانٍ، ولا يجتازه إلا بالحمد والشُّكر،
المنصب الرَّفيع امتحان، والمركز المرموق امتحان،
هذه ليست نياشين على الصُّدور كما يحسب النَّاس،
هذه فِخَاخٌ منصوبة، تعثَّرت بها أقدامُ كثيرين!
فأين فرعون الذي حكم، وأين قارون الذي ملَكَ!
أُناسٌ امتحِنُوا بالنِّعم، فجحدوها!
فاللهمَّ زيِّن لنا عطاءك بالشُّكر، ومنعكَ بالصَّبر!

158
لو كان العتاب حلاً، ما أسرَّها يوسف!

في كتابِ الزُّهد للإمام أحمد:

قال الحسنُ البصريُّ: مُداراة النّاسِّ نصفُ العقل!

يا صاحبي: ردَّة فِعلك هي التي تهب أفعال الآخرين حجمها!

أحياناً تسمعُ كلَّ شيءٍ، ولكن عليكَ أن تتظاهر أنَّك لم تسمع!

وأحياناً ترى كلَّ شيء، ولكن العقل يخيِّرك أن تشيحَ نظَرَك،

لو كان العتاب حلّاً، ما أسرَّها يوسف عليه السَّلام في نفسه،

ولو كان الكلام حلّاً، ما نذرتْ مريمُ ألا تكلِّم اليوم إنسيّاً،

أرأيتَ لو أنَّ في الحيِّ مجنونٌ أوقفكَ وشتمكَ،

فإن الحلَّ أن تبتسم، وتكمِل طريقك!

أنتَ تفعل هذا لأنَّك تعرف أنَّ لا مؤاخذة عليه،

لو وضعتَ الجميعَ في هذه الخانة جاءت الرَّاحة،

فإن وجدتَ خيراً، قلتَ: فلانٌ شذَّ عن القاعدة،

وإن وجدتَ شرّاً، قلتَ: فلانٌ كالآخرين!

159
من أنزلَ حاجته بكَ فقد اصطفاكَ!

في كتابِ مكارم الأخلاق للخرائطيِّ:
قَال مِسْعرُ بن كدام: كنتُ أمشي مع سُفيان الثوريِّ،
فسأله رجلٌ، فلم يكن معه ما يعطيه، بكى!
فقلتُ: ما يُبكيكَ؟
قال: وأيُّ مصيبةٍ أعظم من أن يُؤمّلَ فيك رجلٌ خيراً، فلا يجده عندك!
يا صاحبي: من أنزلَ حاجته بكَ فقد اصطفاكَ!
ضاقَتْ به حاجته، فجعل يُقلِّبُ وجُوه النَّاسِ في رأسه،
ثمَّ توقَّف عندكَ، وحدَّث نفسه قائلاً: هو لها!
لقد اختاركَ دوناً عن النّاس!
لقد أتى بابك طارقاً بأصابع حُسن ظنِّه فيك!
فإن له تُعطه للحاجة، أعطه لأنَّه رآك أهلاً لقضاء الحوائج!


حيثما وجدتَ
قلبك فألقِ رَحلكَ
فهذا موطنك!

160
حسبُ كلٍّ يومٍ همَّه!

في كتابِ أدبِ الدِّينِ والدُّنيا للماورديِّ:
قال الحسنُ البصريُّ: لا تحملنَّ على يومكَ همَّ غدِكَ،
فحسبُ كلِّ يوم همَّه!
يا صاحبي: ألهمومُ تقرِضُ الأبدان كما تقرِضُ الفئران الخبز!
والأحزان تنهشُ الأرواح كما تنهش الضِّباع فرائسها!
وإنَّك لترى الرَّجلين في سنٍّ واحدٍ،
فتحسبُ أنَّ أحدهما أكبر من الآخر بسنوات،
والحقيقة أن عدد أيامهما واحدة،
ولكنَّ الأيام المليئة بالهموم تطحنُ الرُّوح،
وتترك أثر خطواتها على الوجوه!
ارفقْ بنفسكَ، ما كان حلُّه بيدكَ فحُلَّه،
وما كان ليس بيدك، فوكِّلِ الله به!

161
بدلَ أن يبحثُوا عن حلولٍ يُفاقمون المشكلات!

في كتابِ الورعِ لابنِ أبي الدُّنيا:
قال الحسنُ البَصريِّ: طلبُ الحلالِ أشَدُّ من لقاء الزَّحف!
هذا في زمن الحسن، فكيف لو أدركَ زماننا!
دخلَ الرِّبا في كلِّ شيء، وقليلٌ من قد نجا!
سُمِّيت الأشياء بغير مسمَّياتها، وقليل من أدرك!
صارت الكماليِّات ضروريَّات فلهثَ النَّاس وراءها،
تأخُّر سِنِّ الزَّواج حتَّى صار الشباب كالقابضين على الجمر!
وإذا طرق أحدهم الباب بالحلال كسروا ظهره بالمطالب،
ولو عقل النَّاس لبحثوا لبناتهم عن أزواج قبل أبنائهم،
نصفُ مشكلات المجتمع ستُحلُّ وحدهاً!
ولكنَّ النَّاس بدل أن يبحثوا عن حلول يُفاقمون المشكلات!

162
أُنظُر بماذا أشغلكَ!

فـي كتابِ أدبِ الدِّين والدُّنيا للماورديِّ:

قَـال الحسـنُ البصـريُّ: مـن علامـة إعـراض الله تعالـى عـن العبـد،

أن يجعلَ شُغله فيما لا يعنيه!

يـا صاحبـي: إذا أردتَ أن تعـرف قيمتـكَ عنـد اللهِ فانظَـرْ بمـاذا أشـغَلكَ!

بصلاحِ نفسك، أم بتتبُّع أخطاء الناسِّ؟!

بطلب العلم، أم بمتابعة التَّافهين؟!

بالذِّكر وورد القرآن، أم بطلاقِ الفنَّانين وزواجهم؟!

بتربية أولادك، أم بتقييم أولاد النَّاس؟!

بتطوير نفسك في مهنتك، أم في تكسير مجاذيف زملائك؟!

كان الأوائـل يكرهـون أن يجلـس الرَّجـل فـي المسـجد بـلا عبـادة!

تَخَيَّلْ، في المسجد، ولا يرضون جلوسه فارغاً!

يقولـون: إن كنـتَ عالمـاً فاجعـل لـكَ حلقـةً، وإن كنـت متعلِّمـاً فاجلِسْ فـي حلقـة!

163
مَنِ الصَّديقُ يا أبا سعيد؟

في كتابِ أدبِ الدِّين والدُّنيا للماورديِّ:
سألَ رجلٌ الحسنَ البصريَّ: مَنِ الصَّديقُ يا أبا سعيد؟
فقالَ له: من استروحتْ إليه النَّفسُ، واطمأنَّ له القلب!
يا صاحبي: من أجملِ ما قالت العربِ: أكثِرْ معارفكَ وقلِّل أصدقاءَكَ!
مشكلتنا أننا نُطلقُ لفظَ الصَّديقِ على كلِّ عابرٍ،
فإذا ما فُجِعنَا، عُدنا نُردِّدُ: الأصدقاء ليسوا أوفياء!
الصّديقُ الحقيقيُّ يفيضُ حُبًّا: يا معاذ إنِّي لأحبُّك!
الصَّديقُ الحقيقيُّ يُساند ويُشجِّع: ربحَ البيعُ أبا يحيى!
الصَّديقُ الحقيقيُّ يثق بك في غيابكَ: وهذه يدُ عثمان!
الصّديقُ الحقيقيُّ لا يتخلَّى: فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟!

164
آنَ لأبي حنيفةَ أن يمدَّ رِجْلَيه!

في كتابِ عيُونِ الأخبارِ لابنِ قُتيبة،
قَال الحسنُ البصريُّ: حُسْنُ السُّؤال نصفُ العِلم،
ومداراة النَّاس نصفُ العقل، والقصد في المعيشة نصفُ المؤُونة!
يا صاحبي: النَّاسُ يُعرفون من أسئلتهم لا من إجاباتهم!
كان النَّاسُ يسألون النَّبيَّ ﷺ عن الخير،
وكان معاذُ بن جبلٍ يسأله عن الشَّرِّ كي لا يقع فيه،
فجمع في هذا الباب ما لم يجمعه أحدٌ من الصَّحابة،
لهذا نحن نقرأ في الصِّحاح أحاديث الفتن عن طريق معاذ!
وهابَ أبو حنيفة رجلاً كبيراً في مجلسه، وخجل أن يمدَّ رجليه في حضرته،
فلما جاءت فقرة الأسئلة، سأله هذا الرَّجل،
إذا جاء رمضان في زمن الحجِّ، نحجُّ أم نصوم؟!
فقال أبو حنيفة: آنَ لأبي حنيفة أن يمدَّ رِجليه!

165
النَّاسُ حصائِدُ ألسِنتِهم!

في كتابِ أدبِ الدِّين والدُّنيا للماورديِّ:
سمعَ الحسنُ البصريُّ رجلاً يقول:
لا يجب أن ينهى عن الشّرّ إلا من لا يفعله!
فقال له: ودَّ إبليسُ لو ظفرَ منَّا بهذه!
يا صاحبي: قُلِ الحقَّ ولو كنتَ غارقاً في الباطل!
وقُلِ الصَّوّاب في أمرٍ ولو كان فعلك فيه خاطئاً!
لو زنى المرءُ ألف مرّةٍ وهو يقول إنَّ الزنا حرام،
فإنَّه يبقى في دائرة الإسلام وأمره إلى اللّه!
ولو قال إنَّ الزِّنا حلال، ولم يزن، يكفر!
لا تستهينوا بالكلمات، فإنَّها ترفع الأجر، أو تُلقي في النَّار!
وفي القرآن آيتان تخبرانك أنّ النَّاس حصائد ألسنتهم:
الأولى: ﴿فَأَثابَهُمُ اللَّهُ بِما قالوا جَنّاتٍ﴾
الثانية: ﴿وَلُعِنوا بِما قالوا﴾

166

الحريَّة الشَّخصيَّة تنتهي عند حدود الله!

في كتابِ أدب الدِّين والدُّنيا للماورديِّ:
قال الحسنُ البصريُّ لطلابه: كم يداً عقرتِ النَّاقة؟
فقالوا: يدٌ واحدة!
فقال: أليس قد هلكَ القوم جميعاً برضاهم؟!
يا صاحبي: الرَّاضي بالظُّلم كفاعله!
لم تُشاركْ زوجة لوط عليه السَّلام قومها في الفاحشة، ولكنَّها كانت تقرِّهم عليها، وتساعدهم فيها!
فكانت النتيجة أن أنجى الله لوطاً عليه السَّلام وأهله، بينما أهلَكَ زوجته فكانت من الغابرين!
حتَّى وإن لم تفعل الشُّذوذ إياك أن تراه حُريَّة شخصيَّة، الحريَّة الشَّخصيَّة تنتهي عند حدود الله!

167

ولا مع أحذيتهما!

في كتابِ أدبِ الدِّين والدُّنيا للماورديِّ:

سُئِلَ الحسنُ البصريُّ: أيختَصِمُ الرَّجِلُ مع والديه؟

فقال: ولا مع أحذيتهما!

يا صاحبي: من أجمل ما قاله العارفون: من البرِّ أن تخفيَ حزنك عن والديكَ!

حزن الأبناء يقطع قلوب الآباء!

فإذا كان إخفاء حزنك عنهما برٌّ،

فهل هناك عقوق أكبر من رفع الصوت عليها،

والتَّقليل من احترامهما، وهجرهما، واستسهال الخصومة معهما!

قال آزر لإبراهِيم عليه السلام: لأرجمنَّك!

ومع هذا لم يتخلَّ إبراهيم عليه السَّلام عن برِّه!

وقالَ سأستغفرُ لك ربِّي!

ما عقَّ سعد بن أبي وقَّاص أمَّه وقد نهته عن الإسلام!

على أيَّة حالٍ، البِرُّ كتاب، تكتبه أنت، ويقرأه عليك أولادُكَ!

168
الأدبُ مع الله!

في كتَابِ أدب الدِّين والدُّنيا:

قال الحسنُ البصريُّ: كلُّ بلاءٍ دون دِينك عافية!

يا صاحبي: كلُّ مصيبةٍ لم تكن في دينك فلا تعدُّها من المصائب!

إنَّ المصيبة الحقيقية أَن تَسلمَ دُنياكَ وتفسد آخرتك!

اجتاحت آفةٌ إبل أعرابيٍّ حتَّى أنَّها أتت عليها كلِّها،

فقال: إنَّ آفةً تخطَّتني إلى إبِلي لهي نعمة تستحقُ الشُّكر!

تأدَّبْ في بلائك، فإنَّ ما أبقاه الله أكثر ممَّا أخذه،

وما أخذه فهو لم يكن لكَ أصلاً، صاحب وديعة استردَّ وديعته!

الأدب مع الله عبادةٌ لا يبلغها إلَّا الأصفياء!

169

نحن نكتبُ في صحائفنا!

في كتابِ الزُّهدِ للإمامِ أحمد:

قـال عمـر بـن عبـد العزيـز: مـن لـم يعـدَّ كلامَـه مـن عملـه كثُـرتْ ذنوبـه!

يـا صاحبـي: نحـن لا نكتبُ في مواقـعِ التَّواصلِ وإنَّما نكتبُ فـي صحائفنا!

فهو إن كان عالماً افتراضياً فالذُّنوب فيه حقيقيَّة!

وَتذَكَّرْ قَول ربِّكَ: ما يلفظُ من قولٍ إلَّا لديه رقيبٌ عتيد!

الحرفُ مكتوبُ، والكلمة مُدوَّنَة، وغداً تُنشرُ السِّجلَّات!

سأل معاذٌ النَّبيَّ ﷺ: يا نبيَّ اللهِ وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم؟!

فقال: ثكلتك أُمُّكَ يا معاذ،

وهـل يكـبُّ النَّـاسُ علـى وجوهـم فـي النَّـار إلَّا حصائـد ألسـنتهم؟!

170

الماضي لا يُذكَر!

في كتاب حِليةِ الأولياءِ للأصبهانيِّ:

قال عمرُ بنٍ عبد العزيز: ما رَفَقَ أحدٌ بأحدٍ في الدُّنيا،

إلَّا رفِق الله به يوم القيامة!

يا صاحبي: الجزاءُ ما جنسِ العمل!

في الدُّنيا أو في الآخرة لن تشربَ إلَّا من الكأسِ التي سقيتَ النَّاس منها!

الأيدي التي باعتْ يوسف عليه السَّلام، امتدَّتْ إليه تسأله الصَّدقة!

وما ألانَ الله الحديد لداود، إلَّا لأنَّ داود ألانَ قلبه لله!

في سير أعلام النُّبلاء: كان مسعود الهمذانيُّ كثيرَ العفو عن النَّاس،

وإذا جاءه من يعتذر منه، قال له: الماضي لا يُذكر،

فلما مات رُئِي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بكَ!

فقال: أوقفني بين يديه وقال: يا مسعود الماضي لا يُذكَر، خُذُوه إلى الجنَّة!

171
اليقينُ باللهِ!

في كتاب حلية الأولياء للأصبهانيِّ:

قَال الحسنُ البصريُّ: قرأتُ في تسعين موضعاً من القرآن، أنَّ الله قدَّر الأرزاق وضمنها لخلقه،

وقرأتُ في موضعٍ واحد: ﴿الشَّيطانُ يَعِدُكُمُ الفَقرَ﴾!

فشككنا في قولِ الصَّادق في تسعين موضعاً، وصدَّقنا الكاذب في موضعٍ واحد!

يا صاحبي: إنّ مِن حِيَلِ إبليس أنَّه يُزعزعُ اليقين في قلبك!

إذا أردتَ الصَّدقة خوَّفك من الفقر!

وإذا أردتَ الجهاد خوَّفك أهلكَ من بعدك!

وإذا أردتَ التَّوبة خوَّفك ذنوبك الماضية!

يا صاحبي: إنَّ الله قال عن الشَّيطان: ﴿إِنَّ الشَّيطانَ لَكُم عَدُوٌّ فَاتَّخِذوهُ عَدُوًّا﴾،

فكيف نُصدِّق قولَ عدوٍّ، ونشكُّ بالله؟!

172
القُبورُ صناديقُ الأعمال!

في كتابِ حِليةِ الأولياءِ للأصبهانيِّ:
قال عمرُ بن عبد العزيز لأبي حازم: عِظني!
فقال له: اِجعَلِ الموتَ عند رأسك ثمَّ انظُرْ،
ما تحِبُّ أن تَكونَ فيه تلك السَّاعة فخُذْ منه الآن،
وما تكره أن يكون فيك تلك السَّاعة فدعه الآن!
يا صاحبي: القبورُ صناديقُ الأعمال!
ونحن نمضي أعمارنا نملأُ هذه الصَّناديق!
وإنَّ تلك البضاعة ستكون معها الرِّفقة!
في الحقيقة نحن بشكلٍ أو بآخر نصنع جلساءَنا في القبور!
فأكثِرْ من جلساءِ القبر الصَّالحين،
لا شيء أكثر رُعباً من أن تدخل قبركَ بأعمالٍ تخجلُ منها!

173

لكلِّ مجلسٍ أهله!

قال ابنُ كثيرٍ في كتابِه البداية والنِّهاية:
ليس كلُّ من يصلحُ للمجالسةِ يصلحُ للمُؤانسة،
ولا كلُّ من يصلحُ للمؤانسةِ يُؤتمَنُ على الأسرار!
يا صاحبي: لكلِّ مجلسٍ أهله!
هناك مجالس تشحذ فيها عقلك، فأبقها عقلانيَّة!
وهناك مجالس تريح فيها قلبكَ، فَلا تُفلسفها!
وهناك مجالس للتَّسلية والسَّمر، فتخفَّفْ بها!
وكما أنَّك تختار لكلِّ مناسبةٍ زيّاً يُناسبها،
اِخترْ لكلِّ مجلسٍ أهله، ومواضيعه!
ما يُقال في مجلسِ القلب، لا يُقال في مجلس العقل!
نحن في قلوبنا على السَّجية، وفي عقولنا على الرَّويَّة،
واعرِفْ أين تضع سرَّك، فإنه إذا جاوزَ الاثنين شاع!

174
أصابتْ امرأةٌ وأخطأ عُمر!

قَال الإمامُ الذَّهبيُّ فِي سِيَر أعلام النُّبلاء:
علامةُ المخلِص أنّه إذا عُوتِبَ لا يُبرِّئ نفسه،
بل يعترفُ ويقول: رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي!
يا صاحبي: مقتلُ النَّاس الكِبْر!
وللأسف إنَّ النَّاس يُدافعون عن أخطائهم أكثر ممَّا يُدافعون عن صوابهم!
وإنَّ القلبَ لو مُلِئ بألفِ خُلقٍ سيِّئ،
لكان أهون على صاحبِه من أن يُملأ بذرَّة كِبْرٍ!
إبليس كان يُباري الملائكة في العبادة أوَّل الأمر،
ولكن ما منعه من السُّجود لآدم عليه السلام إلَّا الكِبْرُ!
فإن رُوجعتَ في أخطائك فلا تأخذك العِزَّة بالإثم،
على المنبر قال عُمر وهو أميرُ المؤمنين: أصابتْ امرأةٌ وأخطأ عُمر!

175
لا تُعيِّرْ فتُبْتلى!

في كتابِ صفةِ الصَّفوةِ لابنِ الجوزيِّ:
لمَّا سُجِنُ ابنُ سيرين بسبب الدَّيْن الذي وقَعَ عليه،
قال: إنِّي أعلمُ الذَّنبَ الذي حُمِلَ به علَيَّ الدَّيْن!
منذ عشرين سنة قلتُ لرجلٍ: يا مُفلس!
يا صاحبي: لا تُعيِّر فتُبتلى!

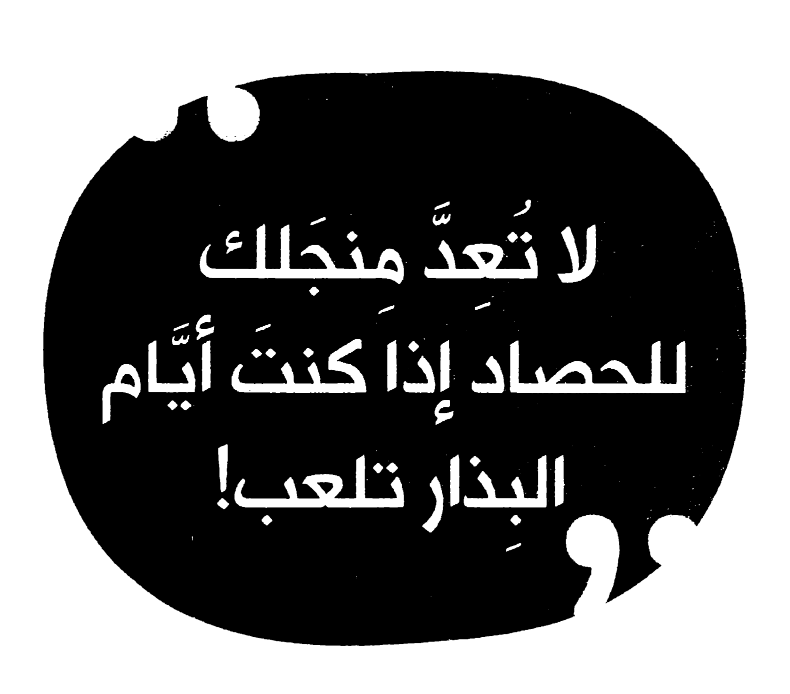
وقد شاهد النَّاسُ عَياناً أنَّ من عَيَّرَ أحداً بشيءٍ يُصاب حتماً بما عيَّر!

وكان ابن القيم يقول: من عيَّرَ أخاه بذنبٍ لم يمت حتَّى يقترفه!

اِرحم أهل البلاء، واحمد الله على العافية!

فما استقام أحدٌ للهِ إلَّا بتوفيق الله، فلا تُعيِّر فتُحرَمَ التَّوفيق!

كان عبد الله بن عمر يقول: والله لو عيَّرتُ امرأةً بالحملِ لخشيتُ أن أحبل!


لا تُعِدَّ مِنجَلك
للحصاد إذا كنتَ أيَّام
البِذار تلعب!

176
ادَّخِرْ للآخرةِ شيئاً!

في كتَابِ صفةِ الصَّفوةِ لابنِ الجوزيّ:
كان زينُ العابدين عليُّ بن الحُسين إذا أتاه السَّائل،
قال: مرحباً بمن يحملُ زادي إلى الآخرة!
يا صاحبي: من أجمل ما كُتِبَ على جدران المقابر:
لن تستطيع أن تأخذ مالكَ إلى القبر، ولكنَّك تستطيع أن تجعله ينتظرُكَ هناك!
وعندما نام سليمان القانونيُّ على فراش الموت،
قال: إذا متُّ، فأجْرُوا يديَّ من التَّابوت،
كي يعلمَ النَّاس أنَّ حتَّى السُّلطان يخرجُ منها فارغ اليَدَين!
ليس لكَ من مالِك إلَّا إحدى اثنتين:
ما أنفقتَ على نفسِك فأبليتَ، أو ما تصدَّقتَ فأبقيتَ!
أمَّا ما تترُكُه خلفك يذهبُ إلى الوَرَثَة، يستمتعون به وحدهم، وتُحاسَبُ عليه وحدك!
فادَّخِرْ للآخِرة شيئاً!

177

إنَّما العِبرة بمن أنتَ عند اللّه!

في كتابِ صِفةِ الصَّفوةِ لابن الجوزيِّ:
احْذَرْ أن تكون ثناءً منشوراً، وعيباً مستوراً!
يا صاحبي: إنَّما العِبرة بمن أنتَ عند اللّه!
فكم من معروفٍ في الأرضِ مجهولٌ في السَّماء،
وكم من مجهولٍ في الأرض معروفٌ في السَّماء،
وإذا دعا، قالتِ الملائكةُ: يا ربُّ، صوتٌ معروفٌ من عبدٍ معروف!
واللّهِ لو مدحكَ النَّاسُ طولاً وعرضاً،
فلن ينفعكَ هذا بشيءٍ إن كنتَ عند اللّه على غيره!
ولو ذمّكَ النّاسُ شرقاً وغرباً،
فلن يضرَّك هذا بشيءٍ إن كنت عند اللّه على غيره!
وكُنْ على حذرٍ أن تُجمِّل فعلكَ للنَّاسِ وتقبِّحه للّه!
قال لقمان لابنه: إيَّاك أن تُريَ النَّاس أنَّكَ تخشى اللّه وَقلبكَ فاجر!

178
لا تقتربْ حتَّى تأمن!

في كتاب صِفة الصَّفوة لابن الجوزيِّ،
قال شقيقُ البَلخِيُّ: اِصحَبِ النَّاس كما تصحبُ النَّار،
خُذْ دِفأها، واحذَرْ أن تُحرِقَكَ!
يا صاحبي: لا تقترِبْ حتَّى تأمن!
ولا تخلع حذرك بسرعة، كم من حريقٍ كان نتيجةً لحظة دِفْءٍ!
حافظ على مسافةٍ بينك وبين الآخرين،
لا تُلقِ بنفسكَ في حياته دفعة واحدة،
ينصحُ خُبراء القيادة بمسافةٍ بين السَّيَّارة وأختها اسمها مسافة الأمان!
فربَّما توقَّفت السَّيَّارة التي تتبعُها فجأةً، فتحمي نفسك من الحادث!
السَّيَّارات التَّالِفة تجدُ من يُصلِحها، ولكنَّ القُلوب قلَّما تجد!

179
الدِّينُ كلُّه خُلُق!

في كتاب صِفة الصَّفوة لابن الجوزيِّ:
قال عبد اللّه بن المبارك: كاد الأدبُ أن يكونَ ثُلثَي الدِّين!
يا صاحبي: أهمُّ درسٍ في هذا الدِّين هو الخُلق،
فإنْ فاتكَ فأنتَ لم تُدرِك منه إلَّا الفُتات!
عندما أراد اللّه تعالى أن يمدح نبيَّه،
لم يمدحه بنسبه، رغم أنَّه من أرفع العربِ نسباً،
ولم يمدحه بقبيلته، رغم أنَّ قريشاً قِبلة العرب وصفوتها،
ولم يمدحه بجماله، رغم أنَّ وجهه كان كفلقة القمر،
وإنَّما قال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾
كان ابن القيِّم يقول: الدِّينُ كلُّه خُلُق، فمن فاقكَ في الخُلُقِ فاقكَ في الدِّين!

180

لا تُراهِنْ على مكانتِك!

في كتاب صِفة الصَّفوة لابنِ الجوزيِّ:

قال يحيى بن معاذ: حقيقةُ المحبَّة أنَّها لا تزيدُ بالتَّرك ولا تنقص بالجفاء!

يا صاحبي: إنَّ الحُبَّ سِرٌّ من أسرارِ اللهِ في النَّاس!

ومن أحبَّ فلن يكره ولو قطَّعه حبيبُه بالسَّيف!

ولكن عليكَ ألا تُراهِن على مكانتِك في قلب أحبابك،

إذا كانت معاملتك سيِّئة معهم!

ربَّما الذي يحبُّك لن يكرهك، ولكنَّه لن يعاملَك كأنَّه يُحبُّك!

ثُمَّ أيُّ حُبٍّ هذا الذي نصيبُ الحبيبِ منه القسوة والجفاء،

الحبُّ إن لم يُترجم أفعالاً فهو حبٌّ كاذبٌ،

وجميعنا لو قيل لنا: اختاروا بين أمرين،

أن يكرهونك ويعاملونك بحُبٍّ، أو يحبُّونك ويعاملونَك ببغض!

لاخترنا أن نُعاملَ بالحُبِّ بغضِّ النَّظر عن المشاعر!

181
الدَّلالُ الزَّائد مفسدة!

قال ابنُ الجوزيِّ في كتابِه صيد الخاطر:

ينبغي أن تكتمَ بعضَ حُبِّك للولد، لأنَّه يتسلَّطُ عليك، ويُضيِّع مالَكَ،

ويُبالغ في الدَّلال، ويمتنِع عن التَّعلم والتَّأدب!

يا صاحبي: الدَّلالُ الزَّائد مفسدة!

عليكَ أن تشُدَّ على قلبك لأجل أن تُعدَّ أولادك للحياة!

الحياة في الخارج ليست آمنةً كما في البيت،

وقلوب النَّاس في الخارج على ولدك ليست كقلبكَ عليه!

فإذا ما بالغتَ في دلاله ألحقتَ به الضَّرر وأنت تعتقد أنَّك تنفعُه!

كان عبد الملك بن مروان يُحِبُّ ابنه الوليد كثيراً،

فلم يرسله كما إخوته إلى قبائل العرب ليتعلَّم الفصاحة،

فكان الوليدُ كثيرَ اللَّحنِ في اللُّغة!

وكان عبد الملك يقول: أضرَّ بالوليد حُبِّي له فلم أرسله إلى البادية!

182

تواضَعُوا ترتفِعُوا!

في كتابِ صِفة الصَّفوة لابن الجوزيِّ:

قال سفيان بن عُيَيْنة: من رأى أنَّه خيرٌ من غيره فقد استكبر!

يا صاحبي: ما ارتفعَ الأوائل لأنَّهم تواضعوا!

صعد أبو بكر المنبر وقال للنَّاس: وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم!

هذا وهو أبو بكر، صديق العُمرِ، ورفيقُ الهجرة في ثانيَ اثنين إذ هما الغار!

وعندما طُعِنَ عمر بن الخطَّاب، ونام على فراش الموت، قال لابنه:

ضَعْ خَدِّي على الأرض، وَيْلِي إن لم يغفر الله لي!

هذا وهو عمر الفاروق، هازِم الإمبراطوريات، وفاتح الدُّنيا للإسلام!

ووقف بكر المُزنيُّ بعرفة وقال: اللهُمَّ لا تردَّ أهل الموقف من أجلي!

الفقيه، العالم، الزاهد، يرى أنَّه أسوأ شخصٍ في هذا الجمع!

وقيل لعبد الله بن عمر: ما التَّقوى؟

فقال: ألا ترى أنَّك خيراً من أحد!

183
سلامةُ الصَّدرِ جنَّةُ الدُّنيا!

يقولُ ابن القيِّم في كتَابِه مدارج السَّالكين:
المؤمنُ يتوجَّعُ لعثرة أخيه للمؤمن إذا عثَرَ،
حتَّى كأنَّه هو الذي عثر بها ولا يشمت به،
وهذا دليلُ على رقَّةِ قلبه وإنابته!
يا صاحبي: سلامةُ الصَّدر جنَّة الدُّنيا،
من لم تُحزنه معاصي المسلمين فليس منهم!
من لم تُحزنه مصائب الآخرين فلا تعدَّهُ من النَّاس!
طهِّرْ قلبكَ، وتمنَّ الخير للنَّاس كما تتمنَّاه لنفسك،
من أعطاه الله، فقد أعطاه منه، لا منك!
صفِّقْ لنجاحات الآخرين، واثنِ على مزاياهم، فهذا من خُلق الأنبياء، قال موسى عليه السلام: ﴿وَأَخي هارونُ هُوَ أَفصَحُ مِنّي لِسانًا﴾
والحسد والغِيرة من خُلق إبليس: ﴿قالَ أَنا خَيرٌ مِنهُ﴾!

184
لا تشترِطْ على الله!

قال ابنُ حجر في كتابه فتح الباري:
كلُّ داع يُستجابُ له، ولكن تتنوَّعُ الإجابة،
فتارةً تقع بعين ما دعا به، وتارةً بعوضه!
يا صاحبي: إنَّ عوض الله إذا حلَّ أنساكَ ما فقدتَ!
على أنَّ العوضَ ليس بالضَّرورة من جنس المفقود!
فلا تشترطْ على الله!
إنَّ الله يُعطيكَ ما يَصلُحُ لك، ويُصْلِحكَ!
فإنّه يعلم، وأنتَ لا تعلم!
ليس بالضَّرورة أن يعوِّضك بالوظيفة وظيفةً، ولا بالحبيب حبيباً،
ولكنَّه حين يعوِّضُك سيجعلُك ترى أثر رحمته في اختياره لكَ!

185
ترفَّعْ!

في كتابِ روضة العقلاء لابنِ حِبَّان:
سبَّ رجلٌ الإمام وكيع بن الجرَّاح، فلم يُجِبْه!
فقيل له: ألا تردُّ عليه؟!
فقال: ولِمَ تعلَّمْنا العلمَ إذن؟!
يا صاحبي: إنَّ من أجمل ثمار العِلم التَّرفع!
ألا تُجاري السَّفيه في سفهه،
وألا تسمح للوضيع أن يجرَّك إلى مستنقعه،
في الحياة معاركٌ الفوزُ الوحيدُ بها عدم خوضها أساساً!
النَّصرُ المُلوَّث هزيمة بشكلٍ أو بآخر!
فإذا فشلتَ في رفُع أحدٍ إلى مستواك، فلا تدعه يُنزلكَ إلى مستواه!

186
الألسنةُ مغاريفُ العُقول!

في كتابِ مقالاتِ الأدباء للغرناطيِّ:

أفواهُ الرِّجال دكاكينُها، فإذا فُتِحت الدَّكاكين، عُرِفَ الدَّباغُ من العطَّار!

يا صاحبي: الألسنةُ مغاريفُ العقول!

وكلام المرءِ على مقدار عقله!

وَكم من امرئٍ أعجبكَ شكله فلمَّا تكلَّم، قلتَ: ليته سكتَ!

وكم من أمرئٍ ما أعجبك شكله، فلمَّا تكلَّم، قلتَّ: ليته لا يسكت!

قَميصُ الصَّمتْ في مسألةٍ ليس لكَ فيها سترٌ،

فلا تعمد إلى قميصٍ يسترك وتفضح نفسكَ!

قالوا قديماً: أن تسكت ويعتقد الآخرون أنَّك غبيٌّ،

خيرٌ من أن تتكلَّم فتثبِتَ لهم ذلك!

187

النِّساءُ في بيوتِ الصَّالحين ملِكَات!

في كتابِ أحكام النِّساء لابن الجوزيِّ:
ما حاز الرِّجال في بيوتهم شرًّا من المرأةِ المُدلَّلة!
يا صاحبي: كان الأوائل يقصدون بالمرأة المدَّللة،
تلك النَّيئة التي لا تصلح للتَّربية وتحمُّل المسؤوليَّة،
وليست تلك الآتية من بيتِ عِزٍّ وكرم واحترام،
فإنَّ النِّساء في بيوت الصَّالحين ملِكَات!
الرَّجلُ يحتاج إلى المرأة التي يشعر معها أنَّ ظهره آمن!
يتركُ أولاده بين يديها وهو يعرف أنَّها خير حافظ لغائب،
ويترك ماله بين يديها وهو يعرف أنَّها ستديره بحقِّ اللهِ،
من جميل ما قاله نيتشه: لا صلاح لأمةٍ فسدتْ منابتُ أطفالها!

188
غفلةُ السَّادة!

في كتابِ مكارم الأخلاق للخرائطيِّ:
قَال إبراهيم النَّخعِيُّ:
كان السَّلَف يكرهون أخلاقَ التُّجَّار، ونظرهم في دَقائق الأمور،
وكانوا يُحبُّون أن يُقال فيهم: غفلةُ السَّادة!
يا صاحبي: إنَّما يُعرفُ العقلاء بالمعارك التي يتفادونها،
لا بالمعارك التي يخوضونها!
الكلمة التي بالإمكان تمريرها، لا تقفْ عندها!
والتَّصرُّفُ الذي يمكن تجاهله، لا تُحدثْ فيه ردَّةُ فعلٍ!
والصَّفحاتُ التي يمكن أن تُطوى، لا تُبقها منشورةً!
كان سُفيان الثوريُّ يقول: ما استقصى كريمٌ قطُّ،
ألم تسمع قَول الله تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعضَهُ وَأَعرَضَ عَن بَعضٍ﴾!

189
نِعمُ اللّه عليك ليستْ للتَّباهي على الخَلق!

في كتابِ حليةِ الأولياءِ للأصبهانيِّ، قال وهب بن منبِّه:
أعظمُ الذُّنوبِ عند اللّه بعد الشِّرك السُّخرية بالنَّاس!
يا صاحبي: إن لم تحترم الخلق فاحترم الخالق!
إنَّ الدَّميم لم يخلِقْ نفسه، ولكن اللّه خلقه،
والبسيط هذا هو رزقه من العقول حين قسمها اللّه،
والفقير إنَّما يأخذُ ما قَدَّمه اللّه له،
كلُّ إنسانٍ في هذه الحياة كان من الممكن أن تكون مكانه، ويكون هو مكانك!
نِعم اللّه عليكَ ليست للتَّعالي بها على الخلق،
وإنَّما لتزيد في شكرها إذا رأيت المحروم منها!

190
أراكَ دعوتَ على نفسِك بالموت!

في كتاب مداراةِ النَّاس لابن أبي الدُّنيا:
جاء رجلٌ إلى وهب من مُنبِّه وقال له:
إنِّي قد عزمتُ على ألا أُخالطَ النَّاس، فما ترى؟
فقال له: لا تفعَلْ، إنَّه لا بُدَّ للنّاسِ منك، ولا بدَّ لك منهم،
لكَ إليهم حوائج، ولهم إليك حوائج،
ولكن كُنْ فيهم، أصمَّ سميعاً، أعمى بصيراً، سكوتاً نطوقاً!
يا صاحبي: لا أحد يستغني عن الخلقِ إلَّا ربَّ الخلق!
لا بُدّ من العِشرة والخُلطة، فعاشِرْ بالمعروف، واختلط بقدر الحاجة!
سمع عمر بن الخطَّاب رجلاً يدعو اللهمَّ لا تُحوِجني إلى أحدٍ من خلقك!
فقال له: ما أراك إلَّا دعوتَ على نفسكَ بالموت،
فما يزالُ النَّاسُ يَحتاجُ بعضهم إلى بعض!

191
فكيفَ باللهِ؟!

قال ابنُ تيمية في كتابِه جامع المسائل:
ما كان في الله تَلفُهُ، كان على الله خَلَفُهُ!
يا صاحبي: إنَّ الكريم من النَّاس إذا أعطيتَه تحيَّن الفرص لردِّها،
فكيف بالله وهو أكرم الأكرمين؟!
كلُّ مالٍ أنفقتَه في سبيل الله مخلوفٌ لا محالة،
وكلُّ وقتٍ قضيته في قضاء حوائج النَّاس،
سيكون بركةً في بقيَّة أوقاتكَ تتجز فيه ما لم تكن من قبل تُنجزه،
أما ترى أنَّ الذين يُكثِرون القيام هم أصحُّ النَّاسِ أجساماً،
تركوا للهِ ما يتقوَّى به غيرهم، فأعطاهم من حيثما تركوا!
قاموا له في الظلام، فأخلفهم نوراً!


من النُّضجِ أن تعلم
أن بعضَ المعارك
ربحها في خسارتها!

192
إِيّاكَ أن تعملَ لغيرِكَ!

قال ابنُ تيميةَ في كتابه مجموع الفتاوى:
أسوأُ أنواع الكرَم هو إهداء حسناتك للآخرين،
غيبةً، ونميمةً، وبُهتاناً، وسبّاً، وشتماً!
يا صاحبي: إيَّاكَ أن تَعملَ لغيركَ فتصبحَ مفلساً!
سألَ النّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم أصحابه: أتدرونَ من المُفلس؟
فقالوا: المُفلِس فينا من لا درهم له ولا متاع،
فقال: إنَّ المُفلِس من أمَّتي، الذي يأتي يوم القيامة بصيامٍ وصلاةٍ وزكاة،
ويأتي قد شتم هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، أو ضرب هذا!
فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته،
فإن فنِيَتْ حسناته قبل أن يُقضى ما عليه،
أخذ من خطاياهم فطُرِحتْ عليه ثمَّ طُرِحَ في النَّار!
كان الإمام الشافعيُّ يقول:
لو كنتُ مغتاباً أحداً لاغتبتُ أمِّي، فهي أحقُّ النّاسِ بحسناتِي!

193
حتَّى بَلاؤُه فيه الرَّحمة!

قال ابنُ تيمية في كتابه جامع المسائل:
مصيبةٌ تُقبِلُ بك على اللهِ، خيرٌ من نِعمةٍ تُنسيكَ ذكرَ الله!
يا صاحبي: يعيدُكَ اللهُ إليه بذنبٍ يكسرك،
وبغدرِ صديقٍ فيُريكَ ألا أمانَ لك سواه،
بهجرِ حبيبٍ، فيثبتُ لك أنَّه وحده يبقى إذا ما غادرَ النَّاس!
ويغلقُ في وجهك أبوابَ الخلقِ لتطرقَ بابه،
ويبتليكَ بالمرضِ ليُذكِّرَكَ ضعفكَ وقوَّته،
هذا رَبٌّ رحيمٌ، حتَّى بلاؤُه فيه الرَّحمة لمن يعقل!

194
إن أذنبتَ فَعُدْ أدراجك، ولا تتمادَ!

قال ابنُ تيميةَ في كتابه مجموع الفتاوى:
الذَّنْبُ للعبدِ كأنّه أمرٌ حَتمٌ،
والعاقلُ هو الذي يأتي من الحسناتِ بما يمحو به السيِّئات!
يا صاحبي: خُتمتْ الرِّسالات، فليس على ظهر الأرض نبيٌّ،
لا أحدَ منَّا معصومٌ، كُلُّنا نُذنب وإن اختلفت حِدَّة الذُّنوب،
ولكنَّ المؤمنَ يُزاحِم المعصيَّة بالطَّاعات،
ويُعقبُ الذَّنْبَ استغفاراً، يرقِّعُ ثوبَ دينِه بالتَّوبة،
ويُبرئُ ذمَّته بإعادة الحقوق إلى أهلها!
إنَّ الله تعالى لم يُطالبنا بالعِصمة، وإنَّما طالبنا بالتَّوبة،
فإن أذنبتَ فَعُدْ أدراجك، ولا تتمادَ!

195
تفقَّدْ قلبكَ!

قال ابنُ تيمية في كتابه جامع المسائل:
أصلُ الذُنوب ثلاثة: الكِبْرُ، والحرصُ، والحسَدُ!
الكِبْرُ: منع إبليسَ من السُّجود،
والحرصُ: أخرج آدم من الجنَّة،
والحسَدُ: دفع ابن آدم لقتل أخيه!
يا صاحبي: تفقَّدْ قَلبكَ فإنَّه منبعُ سلوكك!
وللأسف، نحن نعالج أبداننا، وننسى قلوبنا،
نُعالج النَّتيجة ونترك السَّبب،
القلبُ النَّقيُّ يجعلك تنزلُ أمام الحقَّ راضياً،
ويجعلُك كريماً، تُعطي وأنت تُوقن أنَّ العوض من الله،
ويجعلُك خيِّراً تتمنَّى الخيرَ لكلِّ النَّاس!
قَلبكَ، لا شيءَ غيره، موضعُ الدَّاء وموضعُ الدَّواء!

196

ولكَ بمثلٍ!

قال ابنُ تيمية في كتابه جامع المسائل:
أسرعُ الدُّعاء إجابةً دُعاءُ غائبٍ لغائب!
يا صاحبي: إنَّ المؤمنَ ينال بدعائِه لأخيه،
ما لا ينالُه بدعائه لنفسه!
قال النَّبيُّ ﷺ: ما من عبدٍ مسلمٍ يدعو لأخيه بظهر الغيب،
إلَّا قال المَلَكُ: ولكَ بمثلٍ!
إذا أردتَ شيئاً فادعُ لإخوانك بمثله!
إنَّ تمني الخير للأخرين نقاءٌ لا يدركه كلُّ أحدٍ،
فكُن نقيّاً، أو مُتْ وأنتَ تُحاول!

197
الاستغفارُ مِفتاح الأقفال العصيَّة!

قال ابنُ تيمية في كتابه جامع المسائل:
واللّهِ إنَّ المسأَلة تُغلقُ في وجهي،
فَأستغفِرُ اللّه ألفَ مرّةٍ، فتُفتح لي!
يا صاحبي: إنَّ الاستغفار مفتاحُ الأقفال العصيَّة!
واللّهِ ما تُسَدُّ الأبواب إلَّا بالمعاصي، ولا تُفْتَحُ إلَّا بالطَّاعات!
وإنَّ مِن معاني الاستغفار أن يتَّهِمَ المرءُ نفسه،
واللّه يُحِبُّ من عبده إذا ما أُغلقتْ في وجهه الأبواب، أن يتَّهِمَ نفسه!
فقولُ النَّبيِّ صلَّى اللّه عليه وسلَّم: من لزِمَ الاستغفار،
جعل اللّه له، من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً،
ورزقه من حيث لا يحتسب!

198

بِحِبالِ امتنانِك لا بِحِبالِ امتحانِك!

قال ابن القيِّم في كتَابه الدَّاء والدَّواء:
لا يُبتلى الإنسان دوماً ليُعذَّب، وإنَّما قد يُبتلى ليُهذَّب!
يا صاحبي: نحن في الرَّخاء نتمادى كثيراً،
فيرسلُ الله تعالى إلينا البلاء كرسالةِ تحذيرٍ، وشدَّةَ أُذن،
عنوانها: عُدْ أدراجكَ!
ليس كلُّ البلاء شَرٌّ، ربُّ الخير لا يأتي إلَّا بخير،
فتأمَّل روعةَ أن يغار على قلبك!
أن تزهد فيه فلا يزهد فيك!
فَليكُنْ دعاؤُكَ دوماً:
اللهُمَّ أَعِدني إليكَ بحبال امتنانك، لا بحبال امتحانك!

199
الذي أنقذكَ اللّٰه به من النَّار!

قال ابنُ القيِّم في كتابه جلاءُ الأفهام:
لو صلَّى العبدُ على النَّبيِّ ﷺ بعدد أنفاسه،
لم يكن مُوفياً لحقِّه!
يا صاحبي: قال رجلٌ لعبدِ اللّٰه بن عمر:
حملتُ أمي على رقبَتِي من خُرَسان حتَّى قضيتُ بها المناسك، أتراني جزيتُها؟
فقال له: ولا بطلقةٍ من طلقاتها!
فإذا كانت هذه التي أخرجتكَ من العدم إلى حياة الجسد،
فكيف بالذي أخرجكَ من حياة الجسد إلى حياة الرُّوح؟!
كيف بالذي أخرجكَ من الكفر إلى الايمان، ومن الضَّلالة إلى الهدى؟!
كيف بالذي أنقذكَ اللّٰهُ به من النَّار؟!
نحن لا نُصلِّي عليه لنُؤدِّي حقَّه علينا، فإنَّ حقَّه لا يُؤدَّى،
نحن نُصلِّي عليه عِرفاناً وامتناناً بالجميل!

200
خُذِ الأمورَ بالعقيدة تهون!

قالَ ابنُ القيِّمِ في مدارج السَّالكين:
من عرفَ اللّه تعالى، اتَّسعَ عليه كلُّ ضيقٍ!
يا صاحبي: خُذِ الأمورَ بالعقيدة تهون!
المرضُ كفَّارةٌ، تخيَّلْ سيِّئاتك تُمحى!
الفقدُ ليس نهاية المطاف، تخيَّل اللِّقاء الأبديَّ في الجنَّة!
ما قيل في ظهرك، حسناتٌ لم تتَعبْ بها!
خذلانُ النَّاسِ لكَ، استبدال الأنسِ بالنَّاس بالأُنس باللّه!
كان ابن تيمية يقول: ما يفعلُ بي أعدائي؟ أنا جنَّتي في صدري،
إن سجنوني فسجني سلوة، وإن نَفَوْني فنفيِي سياحة،
وإن قتلوني فقتلي شهادة!

201

أدبُ النِّعمة!

في كتابِ بهجة المجالس لابن عبد البرِّ:
قال إبراهيم النَّخعيُّ:
كان السَّلفُ يكرهون أن يسألوا اللّه العافية بحضرةِ المبتلى!
وكرهوا سجدة الشُّكرِ لتجدُّدِ الثَّروةِ بحضرة الفقير لئلا ينكسر قلبه!
يا صاحبي: من أدب النِّعمة ألا تتباهى بها أمام محرومٍ منها!
تَنكسرُ خواطر النَّاس حين نُذكِّرُهم بما ينقصهم!
حبيبون إلى اللّه أولئك الذين يراعون مشاعر النَّاس!
تذاكرتُ مرّةً مع صديقٍ لي حديثَ الثَّلاثة أصحاب الغار،
فسألتُه: لو كنتَ رابعهم ما أرجى عملٍ صالحٍ ستدعو اللّه به؟!
فقال: كنتُ مرّةً أمارسُ رياضَة المشي، ومن عادتي أن أمشي بسرعة،
وكان أمامي رجلٌ أعرج، فأبطأتُ خطواتي حين تجاوزتُه،
وبقيتُ على هذه الحالة حتَّى غبتُ عن ناظريه،
كرِهتُ أن يرى سرعةَ خطواتي فيحزن لحاله!

202

وإيَّاكم والحرَام!

قال ابنُ عبد البرِّ في كتابه بهجة المجالس:

لو لم يكن في العشق إلَّا أنَّه يُشجِّعُ قلبَ الجبان،

ويُسَخِّي كفَّ البخيل، ويُصفِّي ذهنَ الغبيِّ،

ويبعثُ حزم العاقل، ويخضع له عزُّ الملوك،

وتصرع له صولة الشُّجاع، وينقاد له كلُّ متمنِّع، لكفى به شرفاً!

يا صاحبي: إنَّ الحُبَّ يُغيِّرنا، فإنَّ المرءَ يتجامل لعيون حبيبه!

قيل لأعرابيٍّ: إنَّ ابنك قد عشق!

فَقَالَ: وأي بأسٍ في ذلك؟ إنَّه إذا عشِقَ نظِفَ وظَرُفَ ولطُفَ!

وكان في خراسان شيخٌ يُعلِّم طلابه الحكمة، فقال لهم:

يا بَنِيَّ: اعشقُوا، فإنَّ العِشقَ يُطلقُ الغبِيَّ، ويُسخِّي البخيل،

ويبعثُ على النَّظافة، ويدعو إلى الشرف، وإيَّاكم والحرام!

203
الرِّفق!

في كتابِ بهجةِ المجالسِ لابن عبد البرِّ:
قال عمرُ بن عبد العزيز: أحبُّ الأشياء إلى الله أربعة:
القصدُ عند الجدَّة، والعفو عند المقدرة،
والحلم عند الغضب، والرِّفق بعباد الله في كلِّ حالٍ!
يا صاحبي: يقول النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: من يُحرم الرِّفق يُحرم الخير!
والرِّفق أخذ الأمور بألطفِ السُّبل، وأيسر الطُّرق،
أن تنصحَ دون أن تفضحَ، وأن تُعاتبَ دون أن تجرح،
وأن تُعطي دون أن تتمنَّن، وأن تهجرَ دون أن تُؤذي،
وأن تحسَّسَ وقع الكلام عليكَ أولاً قبل أن تقوله،
وألا تقولَ أساساً إذا كانت تكفِي النَّظَرة!

204
غفرَ اللّه لنا وله!

في كتابِ بهجةِ المجالس لابنِ عبد البرِّ:
سمعَ قُتيبة بن مسلم رجلاً يغتابُ آخر فقال له:
لقد مضغتَ مُضغةً طالما لفظها الكرام!
يا صاحبي: لا يبلغُ الإنسان مراتب الكرام إلَّا بالكفِّ عن أعراض النَّاس!
أن تصلَكَ الفضيحة فتسترها كأنَّها فضيحتك!
وأن ترى أحدهم على معصيةٍ فتشيح نظرك كأنَّك لم ترَ!
وأن تدخل بيوت النَّاس أعمى، وتخرج منها أعمى،
إنَّ البيوت عوراتٌ، والنُّبلاء لا ينظرون إلى العورات،
مجالس الغيبة تأكل الحسنات أكلاً،
فلا ترَضَ أَن تُؤكَل لحوم النَّاس فِي مجلسِكَ،
وإن وصلتكَ معصيةُ فلانٍ، فقُل: غَفرَ اللّه لنا وله، ولا تَزِدْ!

205
لينُ الكلام قَيْدُ القلوب!

في كتابِ بهجةِ المجالس لابن عبد البرِّ:

قيل للعتَّابيِّ: إنَّكَ تلقى النّاس كلَّهم بالبِشرِ!

فقال: دفعُ ضغينةٍ بأيسر مؤونة، واكتساب إخوان بأيسر مبذول!

يا صاحبي: يقول علي بن أبي طالب: من لانتْ كلمتُه وجبَتْ محبّته!

ويقول طاغور: لينُ الكلام قيدُ القلوب!

يا صاحبي: إنَّ العاقل إن لم يكسب صديقاً لا يجعله عدوّاً!

وما يكون تفادي العداوات بشيءٍ كالابتسام ولينِ الكلام!

وما النَّاسُ إلا أحد رجلين:

رجلٌ أنتَ في غِنىً عن عداوته، ورجلٌ أنت في حاجةٍ إلى صحبته،

فمن كنتَ في غِنىً عن عداوته فلا تعطِه سبباً،

ومن كنتَ في حاجةٍ إلى صحبته فأعطِه سبباً!

206
يكشفُ المرءُ سِتره عندَ أُناسِه!

في كتابِ روضة العقلاء لابنِ حِبَّان:
العاقلُ لا يُحدِّثُ إلَّا من يرى حديثَه مغنماً،
إلَّا أن يغلبَه الاضطرار عليه!
يا صاحبي: إيَّاكَ أن تصبَّ شيئاً في وعاءِ مُعرِض عنك!
من تحدِّثه بخلاصة ما قرأت، فيشعرك أنَّه لا يكترِثُ، فلا تحدِّثه،
ومن تروي له قصَّة، فيُعرِض، فلا ترو له،
ومن لا يشعر بطعنتك، فلا تُرِيه مكانها!
ومن لا يذرِفُ دمعاً لبكائك، فاحجبْ دمعكَ عنه!
ومن لا يهتمَّ بترميمك، فلا تكشِف له عن كسورِك!
إنَّما يكشفُ المرءُ ستَرَهُ عند أناسه،
المعارف يُعاملون بالحسنى، ولكن لا نخلع أمامهم دروعنا!

207
لا تعرضْ نفسك على رفٍّ يُنقِص قيمتك!

في كتاب روضة العقلاء لابنِ حِبَّان:

قال جعفر بن محمّد: من أكرمك فأكرمه، ومن استخفَّ بكَ فأكرمْ نفسَكَ عنه!

يا صاحبي: يُهان المرءُ في غير مكانه!

فضع نفسك دوماً في البيئة التي تُقدِّرك!

العملات التَّاريخيَّة النادرة مجرد قطع معدنية لمن لا تستهويه الآثار!

والمخطوطات القديمة مجرَّد خربشات عند من لا يعرف قيمتها!

الخليل بن أحمد الفراهيدي في عيون سيبويه هو غيره يا عيون العوام!

وفتح الباري لابن حجر عند أهل الفقه يصلح أن يكون معتكفاً،

فلا تعرضْ نفسك على رفٍّ يُنقِص قيمتك!


سلامُك النَّفسيِّ
لا يُقدَّرُ بثمن
فلا تُفرِّط فيهَ

208
لو لمْ تكُنْ عنده خديجة!

في كتابٍ بهجة المجالس لابن عبد البرِّ:
قال الخليلُ بن أحمد: ثلاث يُنسِينَ المصائب:
مرُّ الليالي، والمرأة الحسناء، ومحادثة الإخوان!
يا صاحبي: ممَّا جاء في خبر خلقِ أمِّنا حوَّاء،
أنَّ الله تعالى لمَّا خلق آدم وأسكنه الجنَّة استوحش،
فلمَّا نام أخذ قطعةً من ضلعٍ قربَ القلب وخلق منها حوَّاء لتُؤنِسه!
تخيَّل أنَّ الجنَّة دون امرأةٍ يستوحش فيها الرَّجل، فكيف بالدُّنيا!
في الزَّوجة الصَّالحة عِوضٌ عن أصدقاءٍ جافوك، ورحمٍ قطعوك!
وإنَّ المرء لا يعرفُ قيمة المرأة إلَّا حين تأتيه الخطوب،
تخيَّل النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم يوم نزول الوحي عليه،
تراه أين كان يذهب لو لم تكن عنده خديجة!

209
إنَّما النَّاسُ طِباع!

في كتاب روضة العقلاء لابنِ حِبَّان:
إنَّ كرام النَّاس أسرعهم مودَّةً، وأبطؤُهم عداوةً،
مثل كوب الفضَّة: يُبطئُ الانكسار، ويُسرعُ الانجبار!
وإنَّ لئام النَّاس أبطؤهم مودَّةً، وأسرعهم عداوةً،
مثل كوب الفَخَّار: يُسرعُ الانكسار، ويبطئ الانجبار!
يا صاحبي: إنَّ الكريم يحملُ الأمورَ على محامل حُسن الظنِّ،
لذا تراه لا يفيض إلَّا إذا امتلأت كأس صبره!
أمَّا اللَّئيم فيحمل الأمور على محامل سوء الظنِّ.
لذا تراه يصنع من الحبَّة قُبَّة، ومن القطرةِ سَيْلاً!
والكريم على كثرة احتماله سريعُ طيِّ الصفحات، وإقالة العثرات،
واللَّئيم على قلَّة احتماله قليل العفو، كثير تتبُّع العثرات!
إنَّما النّاسُ طباع، وكلُّ طبعٍ لا محالةَ صائرٌ إلى سلوك!

210

إنَّ اللّٰه عند المنكسِرة قلوبهم!

في كتابِ روضة العقلاء لابن حبَّان:

قال سعيد بن المسيِّب: لأَن أُشبعَ كبداً جائعة، أحبُّ إليَّ من حجَّة بعد حجَّة!

يا صاحبي: إنَّ قَضَاء حوائج النَّاس عبادة!

إنَّ اللّٰه عند المنكسِرة قلوبهم، العسيرة حوائجهم، المثقلة أكتافهم!

عند المريض الذي لا يجد ثمن علبة دواء فتشتريها له،

وعند المَدين الذي يحملُ الدَّين كالجبل على كتِفَيه فتقضيه عنه،

وعند الأرملة في حِجْرِها أيتامٌ تكفلها لهم،

وعند صاحِب الحقِّ المسكين تمشي معه فتعيد إليه حقَّه،

إنَّ اللّٰه تعالى ليس في المساجد فقط، وإنَّما عند النَّاس أيضاً!

يقول النَّبيُّ ﷺ: لأن أمشي مع أخ لي في حاجة،

أحبُّ إليَّ من أن أعتكف شهراً في مسجدي هذا!

211
في صَدرِك مكتبة!

في كتابِ حِلية الأولياء للأصبهانيِّ:
قال الإمامُ الزُّهريُّ: إنَّ هذا العلم إن أخذته بالمكاثرة، غلبكَ ولم تظفر منه بشيء، ولكن خُذهُ مع الأيام أخذاً رفيقاً تظفر به!
يا صاحبي: إنَّ العلم والثَّقافة رحلة عُمر، وليس كدحُ سنة!
استمتعْ بالرِّحلة، تَلَذَّذْ بالخطوات بين الكُتُب،
مع الزَّمن ستكتشف أنَّه قد صار في صدرك مكتبة!
العلمُ كتناولِ الطَّعام، لا أحد ينمو من وجبةٍ واحدة،
ولكن وجبة بعد وجبة، سيشتدُّ عودك، وتقوى مناعتُك، وتنمو!
الإنسان بناءٌ، والأبنيةُ تُشيَّدُ طوبةً فوق طوبة!
لا تعجلْ، ولا تفتُرْ، كُنْ بين بين!

212
قوَّةُ المؤمنِ في قلبِه!

في كتابِ حليةِ الأولياءِ للأصبهانيِّ:
إنَّ اللّه جعل قَوَّة المؤمن في قلبه، ولم يجعلها في أعضائه!
ألا ترى أنَّ الشَّيخ يكون ضعيفاً يصوم ويقوم، والشَّابُّ يعجز عن ذلك؟!
هذا الكلام ذكَّرني بموقفٍ حدثَ معي منذ سنوات،
كنتُ في أحد أيَّام رمضان في النَّادي الرياضيِّ،
وكان معي ابني، وكان يومها في الثامنة من عمره،
وفي النَّادي شابٌّ له عضلاتٌ مفتولة لو دخلَ في جدارٍ لهدمه،
وكان يشربُ الماء غير صائم، فناصحته بلطفٍ وأدب،
فقال: صدِّقني لا أستطيع الصِّيام، لا أحتمل الجوع والعطش!
أشرتُ إلى ابني وقلتُ له: هذا الصبيُّ صائمٌ!
تعجَّبَ يومها، وأنا تعجبتُ اليوم حين قرأتُ هذا الأثر!

213
حتَّى الأنبياء كان لهم من يكرههم!

في كتاب حلية الأولياءِ للأصبهانيِّ:
قال الشَّافعيُّ: ما من أحدٍ إلَّا وله محبٌّ ومبغض،
فإن كان لا بُدَّ من ذلك، فليكن المرءُ مع أهل طاعة الله!
يا صاحبي: لن يحَبَّكَ كلُّ النَّاس مهما حاولت!
حتَّى الأنبياء أنفسهم كان لهم من يكرههم!
ومهما كنتَ على ضلالٍ ستجدُ من يحبُّك ويتَّبعُك!
حتَّى إبليس نفسه له من يحبُّه!
والعاقل من يصبِّرُ نفسه مع الذي يدعون ربَّهم بالغداةِ والعشيِّ يريدون وجهه!
قال مُطَرِّف: سألني الإمام مالك، ما يقولُ النَّاسُ فيَّ؟
فقلتُ: أمَّا الصَّديق فيُثني، وأمَّا العدوُّ فيقعُ فيك!
فقال: ما يزال النَّاسُ هَكذا، ولكن نعوذ بالله من تتابعِ الألسنة كلِّها!

214
لا تجعلْ واسطة بينكَ وبين الله!

في كتابِ حلية الأولياء للأصبهانيِّ:
قال عبد الله المكيِّ: دخلَ عليَّ طاووس بن كيسان يعودني،
فقلتُ له: أُدعُ الله لي.
فقال: أُدعُ لنفسك، فإنَّ الله يجيب المضطَّر إذا دعاه!
يا صاحبي: إنَّ دعاء المؤمن لأخيه في ظهر الغيب في الغالب مستجاب،
ولكن لا تجعلْ واسطة بينك وبيْن الله!
تريدُ شيئاً، قُمْ وتوضَّأ، وصلِّ ركعتين، واطلبه ممَّن يملكه،
إنَّ الله تعالى أمرنا أن ندعوه، ولم يأمرنا أن نطلبَ الدُّعاء من النَّاس،
الله كريِّم، ومتى أقبل عبده عليه أجابه إن كان له خيرٌ في دعائه،
وإيَّاك أن ترى نفسك على معصيةٍ فتزهدَ بالدُّعاء،
أجاب الله دعاء إبليس حين سأله:
﴿قالَ رَبِّ فَأَنظِرني إِلى يَوم يُبعَثونَ﴾
فقال له ربنا: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ إلى يَومِ الوَقْتِ المَعلُومِ﴾!

215
لو نمتَ لكانَ خيراً لكَ!

في كتابِ حلية الأولياءِ للأصبهانيِّ:

قال مكحول: رأيتُ رجلاً يُصلِّي،

وكلَّما ركع وسجد بكى فاتَّهمتُه أنَّه يُرائي ببكائه، فحُرمتُ البُكاء سنة!

يا صاحبي: إنَّ المرء بالكاد يستطيع أن يضبط نيَّته،

فإيَّاك أن تدخل في نوايا النَّاس!

أُمرنا أن نحكمَ بالظَّواهر، وترك السَّرائر لربِّ السَّرائر،

وحتَّى وإن ظهر منهم السوء فلا نلُوكُهم بألسنتنا!

يقولُ الشيرازيُّ: سهرتُ ليلةً مع أبي، وحولنا نيامٌ،

فقلتُ: لم يقمْ من هؤلاء من يُصلي ركعتين!

فقال لي: يا بُنَيّ، لو نمتَ لكان خيراً لك من وقوعك في الخلقِ!

216
إنَّ البَنَات أماناتٌ!

في كتاب عيونِ الأخبارِ لابن قُتيبة:

قال رجلٌ للحسن البصريِّ: إنَّ ابنتي تُخطبُ، فمِمَّن أُزَوِّجها؟

فقال له: زوِّجها ممَّن يتقي الله، فإنَّه إن أحبَّها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها!

يا صاحبي: إنَّ البنات أماناتٌ، والله يحبُّ أن تُؤدَّى الأمانات إلى أهلها!

فلا تخُنِ الأمانة، وإنَّما ضَعْها في يدِ من يصونها لك،
وإنَّ المؤمن صَوَّانُ أمانات، جبَّارُ خواطرٍ!
فإن أحبَّها كانت في بيته كالملكة في مملكتها،
وإن لم يحبها خاف الله فيها، فعدلَ ولم يظلم،
جميلٌ أن تُقَام البُيوت على الحبِّ،
ولكن لا بأس أيضاً أن تقوم على المعروف!

217
الحُبُّ فِعلٌ يُرى، لا كلاماً يُقال!

في كتابِ عيونِ الأخبار لابن قُتيبة:
قال السَّريُّ: ليس من الحُبِّ أن تُحبَّ ما يبغضُه حبيبك!
يا صاحبي: إنَّ الحبَّ ليس كلاماً يُقال، وإنَّما فعلٌ يُرى!
فلا تُحارب حيث سالمَ حبِيبُكَ، ولا تُسالم حيث حارب!
لا تجلسْ في مكانٍ هو ليس له فيه متَّسع،
ولا تهجرْ مكاناً يلقى هو فيه التِّرحاب!
ولن يبلغ الحُبُّ ذروته، إلَّا حين يُقدِّم الحبيبُ حبيبَه على هواه!
جاء النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم عند عائشة، ودخل معها في فراشها،
ثمَّ قال لها: يا ابنةَ أبي بكرٍ، ذريني أتعبَّدُ ربِّي!
فقالت له: يا رسول الله، إنِّي أحبُّ قربك، ولكنِّي أُوثِرُ هواك!
ولعلَّ هذا أبلغ ما قيل في الحُبِّ على مرِّ الأزمان!

218

إنَّما هي جنازةُ ساعةٍ!

في كتابِ مواعظ الإمام سلمة بن دينار الشَّاميِّ:
قَالَ أبو حازم: إنَّ شأنَكَ صغيرٌ فاعرفْ نفسك،
إنَّكَ إذا متَّ لن يتوقَّفَ البيعُ في السُّوق لموتك!
يا صاحبي: إذا أردتَ أن تعرف حالَ الدُّنيا بعد موتكَ،
فانظُرْ إلى حالها بعد موتِ الذين قبلك!
موائدُ تُقام، وعرائسُ تُزفُّ، ومواريثُ تُقسَّم!
إنَّما هي جنازةُ ساعة، ثمَّ ينفضُّ النَّاسُ إلى شؤونهم،
ولربما صحبتَ في دُنياك من لن يلغيَ عملُه ليُشيِّعكَ!
فأحسِن صحبَةَ الذي يبقى لكَ: عملُك الصَّالح ووجه ربِّكَ!

219
لو دامتْ لغيركَ ما وصلتْ إليكَ!

في كتابِ عيونِ الأخبار لابن قُتيبة:
قيل لحكيم: ما الكِبْر؟
فقال: حمقٌ لم يدرِ صاحبُهُ أينَ يضعه!
يا صاحبي: لا أحد يتكبَّر إلَّا لمهانةٍ يجدُها في نفسه!
عُقدةُ نقصٍ يريدُ أن يعوِّضَها بالاستعلاء على النَّاس!
أمَّا الأسوياءُ فمُتَصالِحون مع أنفسهم!
الشَّهاداتُ لا تدفعهم للتَّعالِي على من هم أقلُّ منهم علماً،
والأموالُ لا تدفعهم لازدراءِ من هم أفقر منهم،
والمناصبُ لا تدفعهم لاستعبادِ من هو أدنى رُتبةً منهم!
الشَّهادات تُعلَّق على الجدران، وإنَّما العِبرة في الخُلُق،
والأموال تأتي وتذهب، والمناصب لو دامت لغيرك ما وصلت إليك!

220

كُنْ عزيزَ نفسٍ!

في كتاب عيونِ الأخبارِ لابن قُتيبة:
ليس التَّملُّقُ من أخلاقِ المؤمن!
يا صاحبي: من أجمل ما قالت العرب: أعِزَّ نفسَك تجدها!
فَكُن عزيز نفس، لا تقبلْ شربةَ ماء بذِلَّةٍ ولو مِتَّ عطشاً!
ولا تقبل لقمةً بذِلَّةٍ ولو مِتَّ جوعاً!
ما الذي يبقى من الإنسان إذا ما ذهبتْ كرامته؟!
وبأيِّ عينٍ ينظرُ إلى نفسه إذا أراق ماء وجهه؟!
كان عمر بن الخطاب يقول:
اُطلبُوا الأشياء بعزَّة الأنفس، فإنَّ الأمور تجري بالمقادير!

221

لا تجعلِ النَّاسَ معياراً لأخلاقكَ!

قال ابنُ قُتيبةَ في كتابِه عيون الأخبار:

اصنعِ الخير وليقعْ حيث يقع، إنْ وقعَ في أهله فهم أهله،

وإن وقعَ في غيرِ أهله فأنتَ أهله!

يا صاحبي: لا تجعلِ النَّاسَ معياراً لأخلاقِكَ!

إن أحسنُوا أحسنتَ، وإن أساؤوا أسأتَ!

إذا كذبتَ على الكذَّاب، وسرقتَ من اللِّص، وغشَشْتَ الغشَّاش،

فبأيٍّ شيءٍ أنت تختلفُ عنهم؟!

بل اُنظُرْ إلى الشَّيء الذي تُحبُّ أن يُقدَّم إليك وقدِّمه للنَّاس!

فإن وقع الخيرُ في كريم أثمر،

وإن وُضِعَ في لئيمٍ فقد وقع أجرك على الله!

222
السُّكوتُ عن الخطأ رضىً به!

في كتابِ الحلم لابن أبي الدُّنيا:
مَرَّ رجلٌ بقوم فَشتمه سفيهٌ منهم، فأنشدَ شعراً:
يا أمَّ عمرو ألّا تنهوا سفيهَكم، إنَّ السَّفيه، إذا لم يُنْهَ مأمورُ!
يا صاحبي: إنَّ السكوتَ عن الخطأ رضىً به!
فإن سكتَّ عن إساءة ابنك لجارك، فأنت شريكُه،
وإن سكتَّ عن ظُلم صاحبِكَ لغيره، فأنت مثيله!
عليكَ أن تتبرَّأ من الخطأ بكلمةٍ أو بموقفٍ،
إنَّ الذي عقرَ ناقة صالح عليه السَّلام واحد،
ولكن كلَّ القوم سكتوا، فكان سكوتكم رضى،
فلما أنزل الله تعالى بهم عذابه لم ينجُ منهم أحد!

223

عصفوران بحجرٍ واحد!

فِي كتاب المدهش لابنِ الجوزيِّ:
إِنَّ رجلاً كان يبيعُ الثَّلجَ، وَكان يُنادي:
ارحموا من يذوبُ رأس ماله!
يا صاحبي: هناك صَدقاتٌ لها شكل الصَّفقات!
وإن الله يحبُّها لأَنَّ فيها جبر الخواطر، وحفظ الكرامات!
أن تمرَّ بالبائع المتجوِّل المسكين فتشتري منه ما لا تحتاجه.
وأن تُشفِق على أرملةٍ ذات صنعة تعولُ أيتاماً فتُكْسِبُها،
ليس بالضَّرورة أن تستخدم كلَّ ما تشتري من هؤلاء،
يمكنك أن تأخذه وتتصدق به على من يحتاجه،
صدقتانِ بصدقةٍ واحدة، وعصفوران بحجرٍ واحد!


خُذِ الحقيقةَ من أفواهِ
المواقفِ، أمّا في الكلامِ
فالجميعُ فلاسفة!

224
وإنَّما طالبكَ بالتَّوبة!

يقولُ ابنُ الجوزيُّ في كتابه المدهش،
إذا خرقتَ ثوبَ دينِك بالمعصية، فارقعه بالاستغفار!
يا صاحبي: إنَّ الله لم يطالبك بالعِصمة، وإنَّما طالبَكَ بالتَّوبة!
فإذا أذنْبتَ فطَهِّر جوارحَك بالعبادات،
اِقرأ القرآن بالعينِ التي نظرتْ إلى حرام!
وامشِ إلى المسجد بالأقدام التي مشتْ إلى ما لا يحلُّ لها،
وتَصَدَّقْ باليدِ التي امتدتْ إلى حيث ما كان يجب أن تمتدَّ!
عند وقوع الذَّنبِ منك ما تزال المسافةُ قريبةً بينك وبين الله،
خطوة إلى الوراء تكفي، فعُد سريعاً،
لا تُتبعِ السَّيِّئة سيئةً أخرى، فتجد نفسك قد ابتعدتَ كثيراً،
حينها ستنظر وراءكَ وتستكثر المسافة!
على العموم حيثما وصلتَ يمكنك الرُّجوع، ما سمَّى نفسَه التوَّاب إلَّا لأجلك!

225

إنَّك لا تدري بأيِّ عملٍ تدخلُ الجنَّة!

في كتاب صِفة الصَّفوة لابن الجوزيِّ:
جاء رجلٌ مِن أهل الشَّام فقال: دُلُّوني على صفوان بن سُليم،
فإنِّي رأيتُه دخلَ الجنَّة، فقلتُ: بأيِّ شيءٍ؟
فقيل: بقميصٍ كساه مسكيناً!
فسألنا صفوان عن ذلك، فقال: خرجتُ في المسجد في ليلةٍ باردة،
فإذا بمسكينٍ عريان، فنزعتُ قميصي وكسوتُه إيَّاه!
يا صاحبي: اعملْ ولا تستقلَّ عملاً، فإنَّك لا تدري بأيِّ عملٍ تدخل الجنَّة!
هذا الرَّبُّ رحيمٌ وشكور!
أدخلَ بغيّاً من بغايا بني إسرائيل الجنَّة بُسقيا كلب!
وأدخلَ مسلماً الجنَّة بغصن شجرةٍ قطعه كان يُؤذي النَّاس!
أجملُ عبادةٍ لله، هي تلك التي تكون في النَّاس!

226

ليكُنِ اللهُ وُجهتُكَ!

في كتاب صِفة الصَّفوة لابن الجوزيِّ:

قال مالك بن دينارٍ، قولوا لمن لم يكن صادقاً لا يتعب!

يا صاحبي: إنَّ اللّه أغنى الأغنياء عن الشِّرك!

كلُّ عملٍ أردتَ به الثَّناء عند النَّاس فهو للنَّاس،

وكلُّ عملٍ أردتَ به وجه اللّهِ فهو للّه،

إنَّ اللّه تعالى قد يقبل نصف العمل، ولكنَّه لا يقبلُ نصفَ النِّيَّة!

ليكن اللّهُ وجهتك أو لا تمشِ، وفِّرْ عليك عناء المسير،

الصَّدقة التي تريد بها النَّاس لو وفَّرتها لكان خيراً لك!

والقيام الذي ستُصبِح تتباهى به نومك خيرٌ منه!

وصيام التَّطوع الذي لم تصمه إلَّا ليُقال صوَّام جوعٌ بلا أجر!

أول من تُسعَّرُ بهم النَّار قارئٌ للقرآن، ومنفقٌ، وشهيدٌ،

أحسَنُوا العمل وأساؤوا النِّيَّة، فإن لم تُخلصْ فلا تتعب!

227
من ساواكَ بنفسه فما ظلمكَ!

في كتابِ صِفة الصَّفوةِ لابن الجوزيِّ:
لا تُفشِ على أحدٍ ما تُحبُّ أن يكون مستوراً منك!
يا صاحبي: إنَّ من العدلِ أن تكره للنَّاس ما تكره لنفسكَ!
وأيُّ شيءٍ كرهتَ أن يُؤدَّى إليك فلا تُؤدِّه إلى النَّاس!
تخيَّلْ أن رأى أحدٌ عورةَ في بيتك،
تصرَّفْ مع عورات بيوت النَّاس كما تحبُّ أن يتصرَّف هذا في عورةِ بيتك!
تخيَّلْ أن رآك أحدُهم على معصية،
تصرَّفْ مع معاصي النَّاسِ كما تحِبُّ أن يتصرَّف هذا مع معصيتك!
ليس من العدل أبداً أن تفضحَ غيرك، وتطلب من النَّاس السِّترَ عليك!
ولا أن تقعَ في أعراضِ النَّاس، وتريد من النَّاس أن لا يقعوا في عِرضك!
وقديماً قالت العرب: من ساواكَ بنفسه فما ظلمكَ!

228

لأَبقيَنَّ أحْلِبَها لكم!

روى الإمامُ الشَّعرانيُّ في كتابه لواقح الأنوار القدسيَّة:
أنه رأى الإمام جلال الدِّين المحليِّ يخبزُ لعجوزٍ في الحيِّ،
فقال له: ألا يشغلُك هذا عن العلم؟
فقال: قطعنا عمرنا في الاشتغال بالعلم،
وما رُؤي أحد مشايخنا بعد موته في المنام فقال: غفر الله لي،
إلا وقال أنَّه قد حصل ذلك بقضاءِ حوائج النَّاس!
وما بلغني أنّ أحداً قد قال إنَّه قد غُفِرَ له بعلمه!
يا صاحبي: ليس تقليلاً من العلم، ولكن رفعاً لقدرِ قضاءِ حوائج النَّاس!
ثمَّ إنَّ من زكاة العلم وتمامه أن يلينَ قلبُكَ على النَّاس!
كان أبو بكرٍ الصِّدِّيق يحلبُ لأيتام في الحيِّ أغنامهم،
فلمَّا بُويع بالخلافة، قالوا: الآن لاً يحلبها لنا،
فبلغه قولهم، فقال: واللهِ لأبقينّ أحلبها لكم!

229
سيطِرُوا على فضولكم!

في كتابِ حِلية الأولياء للأصبهانيِّ:

قال القاسم بن مخيمرة: إنِّي لأغلقُ بابي عليَّ فما يجاوزه همِّي!

يا صاحبي: لا تنشغلْ بالآخرين كثيراً!

إنَّ المرءَ منَّا بالكاد يكفي عمره لينشغلَ بنفسه، فكيف ينشغل بالنَّاس؟!

ما لكَ من أين جاء صاحب السَّيارة بثمنها؟!

وما لكَ لِمَ تطلَّقتْ فُلانة؟!

ما لكَ كم نال أولاد المرحوم من الميراث؟!

وما لكِ من هؤلاءِ الذين جاؤوا لزيارة جيرانكم؟!

سيطرُوا على فضولكم، فإنَّ الفضول حشريَّة مقيتة!

إنْ لم تكن في بابِ التَّجسُّسِ على النَّاس،

فهي في بابِ الاشتغال بهم، وكلاهما مذموم!

230

رُبَّ وردةٍ نبتَتْ في مزبلة!

في كتابِ بهجةِ المجالسِ لابنِ عبد البرِّ:

خُذ الحكمة ممَّن سمعتها،

فإنَّ الرَّجل قد يتكلَّم بالحكمة وليس بحكيم،

تماماً كما تأتي الرَّميةُ من غير رام!

يا صاحبي: إنَّ الحكمةَ فتوحاتٌ ربانيَّة، ولا نعلمُ متى يُفتح على المرء!

فإيَّاكَ أن تردَّ الحقَّ لأنَّ الذي قاله لا يُعجبك،

وإيَّاكَ أن ترضى بالباطل لأنَّ الذي قاله حبيبٌ لك!

كتبَ عبدُ اللهِ بن المبارك بيتَ شعرٍ سمعه من سكِّير!

فقيل له: أتفعل؟

فقال: رُبَّ وردةٍ نبتتْ في مزبلة!

231

ليتَ لي عُنق الجَمَل!

في كتابِ بهجة المجالسِ لابن عبد البرَّ:

قيل لبكرِ بن عبد اللّهِ المُزنيِّ: **إنّكَ تُطيلُ الصَّمتَ؟**

فقال: إنَّ لساني سبعٌ، **إن تركتُه افترسني!**

يـا صاحبـي: وهـل يُكـبُّ النَّـاسُ فـي **النَّـار علـى وجوهِهـم إلَّا** حصائـد ألسـنتهم!

لو [illegible]سكنا ألسنتنا ما كانت الخواطر لتُكسر!

ولو اخترنا مفرداتنا ما كانت القلوب لتتكدَّر!

ولو انتقينا كلامنا ما كانت البيوت لتُهدم!

لو تذوَّقنا كلماتنا قبل النُّطق بها ما جرحنا أحداً!

كان عمر بن الخطَّاب رضي اللّه عنه يقول:

ليت لي عُنق الجمل، حتَّى أزِنَ الكلمة **قبل النُّطق بها!**

232
أسنانُكَ ليستْ عورة!

في كتاب بِهجةِ المجالسِ لابنِ عبد البَرِّ:
قيلَ للخليل بن أحمد الفراهيديِّ: إنَّك تُمازِحُ النَّاس؟
فقال: النّاسُ في سجنٍ ما لم يتمازحوا!
يا صاحبي: لا تضعْ الجدَّ موضعَ الهزل، ولا الهزل موضع الجدِّ!
فإن كان في الأمر سَعة، فابسُطْ وجهك، أسنانُك ليست عورة!
ولا تأخذ كلَّ الأمور على محمل الجدِّ فتصبحَ ثقيلاً لا أليف لكَ!
بالمقابل لا تكُنْ مهرِّجاً في كلِّ موقفٍ فيستخفّ بكَ النَّاس!
كان النَّبيُّ ﷺ يُمازِح أصحابه ويمازحونه!
وفي الأدب المفرد للبخاريِّ، عن بكر بن عبد الله، قال:
كان أصحاب رسول الله ﷺ يتبادَحون بالبطِّيخ،
فإذا كانت الحقائق كانوا همُ الرِّجال!
تخيَّل مدى ظُرفهم وتحبُّبِهم لبعضهم، يتقاذفون قشور البطِّيخ!

233
لا يدخلِ الجنَّة نمَّامٌ!

في كتابِ بهجةِ المجالسِ لابنِ عبد البَرِّ:

قال يحيى بن أبي كثير: يُفْسِدُ النَّمَامُ فِي ساعة، ما لا يُفسدُه السَّاحِر في سنة!

يا صاحبي: قال النَّبيُّ ﷺ: لا يدخلِ الجنَّة نمَّام!

كم من بيوتٍ هُدِمتْ بسبب نمَّام،

وكم من صداقات انفرط عقدها بسبب نمَّام،

وكم من أرحامٍ قُطعت بسبب نمَّام،

وكم من أرزاقٍ قطعتْ بسبب نمَّام،

أقبحُ النَّاس هم أولئك الذين يصبُّون الزَّيت على نارِ الخلافات!

مرَّ النَّبيُّ ﷺ على قبرين فسم صوت صاحبيها يُعذَّبان،

فقال: يُعذّبان، وما يُعذَّبان في كبير، بلى يُعذَّبان في كبير،

كان أحدها لا يستَتِرُ من بوله، وكان الآخر يمشي بالنَّميمة بين النَّاس!

234

ذوقُ المرءِ وثقافته!

قال القيروانيُّ في كتابِه زهر الآداب:
اختيارُ المرءِ قطعةٌ من عقله، تدلُّ على تخلُّفه أو فضله!
يا صاحبي: كلُّ إنسانٍ يقعُ على ما يُشبهه!
أما ترى أنّ النَّحلَ لا يحطُّ إلَّا على الأزهار،
وأنَّ الذُّبابَ لا يحطُّ إلَّا على قذارة!
كلُّ عبارة، أو تغريدة، أو اقتباسٍ، أو استحسانٍ،
إنَّما تدلُّ على ذوق المرء وثقافته!
صحيح أنَّ المرء يقرأ ويستعذب، وليس كلُّ ما يستعذبه يمثِّل حالته،
ولكن بالتَّأكيد فإنَّه يمثل عقله وقيمه وأخلاقه!
حسابات النَّاس في مواقع التواصل تخبرك عنهم،
مواقفهم من القضايا الرَّاهنة تُريك منظومة قيمهم وأخلاقهم!

235
يرفضُونَ أنْ يخُوضُوا في الوَحْل!

في كتابِ زهر الآداب للقيروانيِّ:
دخلَ العجّاجُ الشَّاعرُ على عبدِ الملكِ بن مروان،
فقالَ له عبدُ الملكِ: بلغني أنَّك لا تُحسِنُ الهجاء!
فقال له العجَّاجُ: من قدِرَ على تشييدِ الأبنية أمكنه خراب الأخبية!
فقال له عبدُ الملكِ: وما يمنعُكَ؟
فقال: إنَّ لنا عزّاً يمنعنا أن نُظلَم، وحلماً يمنعنا أن نَظلِم!
فقال له عبدُ الملكِ: إنَّ كلامكَ أحسن من شِعرك!
يا صاحبي: ليس كلُّ من لم يردَّ الإساءة بمثلها ضعيف،
ثمة خلقٌ نبيلٌ اسمه التَّرفُّع وهو من أرقى الأخلاق!
وليس كلُّ من أمسكَ لسانه لا يجيد الكلام،
ثمَّة أناسٌ يرفضون أن يخوضوا في الوحل!

236

رِفقَةُ السُّفهاءِ تقصِفُ العُمر!

في كتاب روضة العقلاء لابنِ حِبَّان:

قال أعرابيٌّ: العاقلُ بخشونةِ العيشِ مع العقلاء،

أسعدُ منه بلِينِ العيشِ مع السُّفهاء!

يا صاحبي: كانت الفُرْسُ إذا أرادت أن تنتقمَ من عاقلٍ حبسته مع جاهلٍ!

عرفَ النَّاسُ باكراً أنَّ رِفقة السُّفهاء تقصِفُ العُمر!

وإنَّ أهل الصُّفَّة في مسجد رسول الله ﷺ كانوا لا يجدون اللُّقمة،

ومع هذا كانوا من أسعدِ النَّاسِ حالاً، وأهنأهم بالاً!

ذاك أنَّهم حين جاعت بطونهم، شبِعَت أرواحهم،

وحين ظمِئت حناجرهم، ارتوت قلوبهم!

وإنَّ رِفقةَ السَّفيهِ الجاهل في قصرٍ يجعله قبراً،

وصحبته في فضاءٍ واسعٍ يجعلك كأنَّما تتنفَّسُ من خرم إبرة!

237

أهلُ بيتكَ أوَّلاً!

في كتابِ بهجةِ المجالسِ لابن عبد البَرِّ:

من قلَّ خيره على أهله، فلا ترجُ خيره!

يا صاحبي، قالت العرب: من لا خير فيه لأهله، لا خير فيه للنَّاس!

وإنِّي أقول لكَ: أسوأ صنفٍ أُبتلينا به هذه الأيام،

من طال خيره على النَّاس، وقَصُرَ على أهله!

تجده خارج البيت ضاحكاً، فإذا دخل بيته كان عبوساً قمطريراً!

ويكرم ويُنفقُ خارج بيته، وعلى أهله شحيحٌ يدُه مغلولة إلى عنقه!

يحتملُ الأذى والإهانة خارج بيته، ويثورُ لأهله عند أول كلمة!

سُئلتْ أمُّنا عائشة عن خُلِق رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في بيته،

فقالت: كان خُلُقُه القرآن!

وسُئلتْ: كيف يكون رسولُ الله ﷺ في بيته؟

قالت: كان يكون في مهنة أهله! أي في خدمتهم!

238
شبيهُ الشَّيءِ منجذبٌ إليه!

في كتابِ بهجةِ المجالسِ لابن عبد البَرِّ:
قيلَ لأبي حازم، ما اللَّذَّة؟
فقال: المُوافقة، ولا أنيس كالصَّاحبِ المواتي!
يا صاحبي: من أجمل ما قالت العرب: شبيهُ الشَّيءِ مُنجذِبٌ إليه!
الفاجرُ يرتاح في رفقةِ الفاجر، وإن كانت راحةً ودنيويَّة!
والطَّائع يرتاح في رفقة الطَّائع، وهي راحةٌ في الدَّارين!
ما أجمل أن تتوافق الأقدام في طريق الخير،
فيكون الصَّاحب لصاحبه كتفاً، وسنداً، وعكَّازاً!
إنْ مالَ أحدُهما، قَوَّمَه الآخر!
وإن فترَ أحدُهما، شدَّ من عزمه الآخر!
وإن نسيَ أحدهما، ذكَّره الآخر!
الأصدقاء الصَّالحون، سندٌ في الدُّنيا، شُفعاءُ فِي الآخرة!

239
اتَّقِ اللّٰه فَإنَّكَ ستمُوت!

في كتابِ المجالسةِ وجواهرِ العلم للدَّينوريِّ:
قال الفُضيل عن عياضٍ: من رأى من أخٍ له منكراً،
فضحِكَ في وجهه، فقد خانه!
يا صاحبي: من أحبَّكَ هو الذي ذكَّرَكَ في الآخرة،
أمَا قرأت قول إبراهيم لآزر: ﴿يا أَبَتِ إِنِّي أَخافُ أَن يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحمنِ﴾!
ومن سكتَ لكَ على الخطأ فما أحبَّك ولو ادَّعى ذلك،
ذمَّ اللّه تعالى الذين كانوا لا يتناهون عن مُنكرٍ فعلوه!
أوصى عمر بن عبد العزيز أحد أصحابه، فقال له:
إذا رأيتني قد ضللتُ الطَّريق،
فخُذْ بمجامع ثيابي، وهُزَّني هزّاً عنيفاً، وقُلْ لي:
يا عمر، اتَّقِ اللّه فإنَّك ستموت!


ليس كلُّ ما في
القلب يُقال!

240

كلامُ الرَّجلِ ميزانُ عقله!

في كتابِ المجالسةِ وجواهرِ العلم للدَّينوريِّ:

قال يزيد بن المهلَّب لابنه مخلد:

إذا كتبتَ رسالةً فأطِلِ النَّظرَ فيها، فإنَّ رسالة الرَّجلِ موضعُ عقله!

يا صاحبي: كان عليُّ بن أبي طالبٍ يقولُ: كلام الرَّجل ميزان عقله!

فكم من وسيم رأيتَه فأغبطتَه،

فلمَّا تكلَّمَ، قُلتَ: ليتَ بيني وبينه بُعدُ المشرقين!

وكم من إنسانٍ رأيتَه فلم تحسبه شيئاً،

فلمَّا تكلَّم، قُلتَ: إنَّ النَّاسَ بمناطقهم لا بمخالقهم!

فإن كنتَ وسيماً فلا تُشوِّه وسامتَك بقبح كلامكَ،

وإن لم تكن وسيماً، فلا تجمع على نفسِك قُبحَين!

241
لا تجرَحْ جهراً، وتُداوي سِرّاً!

في كتابِ المجالسةِ وجواهرِ العلم للدِّينوريِّ:
قال الفرَّاء: سألتُ عليَّ بن بكَّار عن رجلٍ اغتبتُه، ثمَّ ندِمتُ،
فهل أسأله أن يجعلني في حِلٍّ؟
فقال لي: لا تُخبره فتُغرِي قلبَه بالعداوة،
ولكن اُدعُ له، وأثْنِ عليه حتَّى تمحو السَّيِّئة بالحسنة!
يا صاحبي: إذا كانت حقوقُ النَّاس في المادِّيات،
فأعِدها لهم، فهذه لا تغفرُها الصَّلوات والدَّعوات!
ومن أهنتَهُ أمام النَّاس، فاعتذر منه ورمِّمْ كرامته أمام النَّاس!
لا تجرح جهراً، وتداوي سرّاً!
أمَّا كلامٌ عن غَائب، فحسبُكَ الاستغفار، ودعوات السُّجود،
ولو كلَّلتَ هذا بصدَقةٍ عنه فقد أحسنتَ!
ولكن لا توقد ناراً أنتَ في غنىً عنها!

242
تعلَّمْ أدبه قبل علمه!

في كتابِ ترتيبِ المداركِ للقاضي عياض:
قال أبو حنيفة: الحِكاياتُ عن العلماءِ ومحاسنهم،
أَحبُّ إليَّ من الفقه، لأنَّها آداب القوم!
يا صاحبي: إنَّ الأدبَ يُقدَّمُ على العلم!
كُنْ على يقينٍ أنَّ قليل العلم يستره كثيرُ الأدب،
بينما قليل الأدبِ لا يستره كثير العلم!
وقد كان الأوائل يطلبون الأدبَ قبل العلم!
قال الإمام مالك لفتىً من قريشٍ: يا ابن أخي، تعلَّم الأدب قبل أن تتعلّم العلم!
حفظ الإمام مالك هذا الدَّرس باكراً من أمِّه!
حيثُ يقول عنها: كانت أمِّي تُعمِّمني وتقولُ لي:
اِذهب إلى ربيعة، فتعلَّم أدبَه قبَل علمه!

243
لا تجعلْ صدركَ مقبرة!

في كتابِ ترتيبِ المداركِ للقاضي عياض:

عندما ماتَ الفقيه محمد بن لبابة، تزاحمَ النَّاس على نعشه،

فقال أبوه: تزاحموا على علمه لا على نعشه!

يا صاحبي: صرنا نأخذُ بأجساد الأشياء ونترك أرواحها!

نُشيِّدُ البيوت الجميلة، وننسى أن نُشيِّدَ الأسرة الآمنة!

نهتمُّ «بديكور» المسجد، وننسى الغاية التي لأجلها بُنِيتِ المساجد!

نُكثِر من استخدام وسائل التَّواصل، ولكن قَلَّ عندنا الوصل!

صارت مظاهر الجنازة تطغى على رهبة الموت!

وترفُ الزَّفاف يطغي عن الغاية التي كان لأجلها الزّواج!

كثُرت المكتبات وقلَّت الثَّقافة، وكثرت الجامعات وقلَّ العلم،

خُذْ من كلِّ شيءٍ روحه، ودع عنك الأجساد، لا تجعل صدرك مقبرة!

244
هذه التي بلغتْ بكَ!

في كتاب حلية الأولياء للأصبهانيِّ:

قَال عليٌّ بن فُضيل لأبيه: ما أحلى كلام الصَّحابة!

فقال له: يا بُنيَّ، أتدري لِمَ حَلا؟

فقال: لا يا أبتِ!

فقال له: لأنَّهم أرادوا الله به!

يا صاحبي: كلُّ كلامٍ كان لوجه الله، وضعَ الله له القَبول ولو كان بسيطاً،

وكلُّ كلام أُريد به حظُّ النَّفس لم يجاوِر الآذان مهما كان مُنمَّقاً!

انفردتُ يوماً بالشَّيخ محمد راتب النابلسيِّ، فقلتُ له:

يا شيخ، سأصدُقُكَ، فاصدقني: سمعتُ كلَّ محاضراتك، وكلَّ ما تقوله أعرفه،

ولكن يشهدُ الله أنَّه ينزل على قلبي كأنِّي أسمعه للمرَّةِ الأولى!

فقال لي: أنا لا أقولُ شيئاً لا أعملُ به!

فقلتُ له: هذه التي بلغتْ بكَ، وهي التي لا نُطيق!

245

لا تعِشْ جامعاً للمال!

في كتاب حِلية الأولياءِ للأصبهانيِّ:

قال ميمون بن مهران، لئن أتصدَّقَ بدرهم في حياتي،

أحبُّ إليَّ من أن يتصدَّق عني أحدٌ بعد موتي بمئة درهم!

يا صاحبي: إيَّاكَ أن تعيش جامعاً للمال كأنّكَ حصّالة نقودٍ!

لا بأس بالادِّخار، هذا فعل العقلاء، ولكن لا تنسَ الصَّدقة!

ولا بأس أن تُفَكِّر بأولادك من بعدكَ، ولكن لا تنسَ نفسَكَ!

لا تنسَ أنَّ لكَ صحيفةً ستُطوى بموتك، فاملأها بالخير!

ولا تنسَ أنَّ لكَ قبراً عليكَ أن تنيره بمدِّ يدِ العون للنَّاس!

عمِّرْ قبركَ قَبَل أن تدخله، العاقل لا يجعل مرقده موحشاً،

ولا تهتمَّ بدنيا ورثتك وتنسى آخرتك!

تصدَّقْ بيدك، وحُجَّ بنفسك، واجعل الصَّدقات الجارية لك،

إنَّ من الخيبةِ أن تتركَ المال وراءَك وتجلس في قبرك تنتظر أن يتصدَّقوا عنك!

246

ما أعطاكم إيَّاه زهيرٌ لا يُنسى!

في كتابِ زهرِ الآداب للقيروانيِّ،

قال ابن المعتزِّ: ماتَ خزَنة الأموال وهم أحياء، وعاش خزنة العلم وهم أموات!

يا صاحبي: يندثر المالُ ويبقى العلم والأدب!

إنَّك لا تعرف أغنى رجلٍ في عصر الجاحظ، ولكنَّك تعرفُ الجاحظ!

وإنَّك لا تعرف صاحبَ أجمل قصر في عصر الإمام مالك، ولكنَّك تعرفُ الإمام مالك، وتعرِفُ الموطَّأ!

ولو لا أنَّ الله تعالى حدَّثنا عن قارون ما درى به أحد!

جاءت ابنة هرم بن سنان إلى عمر بن الخطَّاب، فقال لها:

ما أعطيتم زهيراً حتَّى قال فيكم ما قال؟

فقالتْ: نسينا ما أعطينا زهيراً!

فقال لها: ولكن ما أعطاكم إيَّاه زُهير لا يُنسى!

247

من عاتَبكَ فقد استبقاكَ!

في كتابِ زهرِ الآدابِ للقيروانيِّ:

العتابُ حدائق المتحابِّين، وثمار المتوادِّين، ودليل الظنِّ، وحركاتُ الشَّوقِ، وراحة الواجد، ولسانُ المشفِق!

يا صاحبي: من أجمل ما قالت العرب، من عاتبكَ فقد استبقاك!

لهذا لا تخف من أحبابك إذا عاتبوك،

وإنَّما خفْ منهم إذا توقَّفوا عن عتابك!

العتاب مجلاة القلوب، والجروح التي لا يتمُّ تطهيرها تلتهب!

فإيَّاكَ أن تُضمِّدَ جرحاً قبَل تطهيره!

وتذكَّر دوماً: نحن لا نُعاتب إلَّا الذين نريد بقاءهم، الذين لا نريد بقاءهم أقلُّ شأناً من أن نعاتبهم!

248
الكلماتُ تكتسي حُلل النَّوايا!

في كتابِ زهرِ الآدابِ للقيروانيِّ:

قال عامرُ بن عبد قيس: الكلمة إذا خرجتْ من القلب وقعتْ في القلب،

وإذا خرجتْ من اللِّسان لم تُجاوز الآذان!

يا صاحبي: إنَّ الذي يكتبُ بدموعه ليس كالذي يكتب بحبره!

وانَّ الذي يعظُ مشفِقاً، ليس كالذي يعِظُ مستعلياً متفيهقاً!

وإنَّ الذي ينصحُ متوجِّعاً، ليس كالذي ينصحُ شامِتاً!

الكلمات تكتسي حُلل النَّوايا!

يقولُ ابن الجوزيِّ: خطبتُ في عشرة آلافٍ ما منهم إلَّا خاشعٌ أو باكٍ،

فقلت في نفسي: ويلي إن قُبِلوا ورُدِدتُ!

يا الله، أعوذ بك أن أكون جسراً يعبر عليه النّاس إلى الجنَّة!

ويُلقى هو في النَّار!

لم يكن ابن الجوزيِّ يعِظ بلسانه، وإنَّما بقلبه!

249
مثلي هَفَا، ومثلُك عَفَا!

في كتابِ زهرِ الآدابِ للقيروانيِّ:

كتب أخٌ إلى أخ يستدعيه للقائه، أمّا بعد:

فإنّه منْ عانى الظَّمأ بفرقتك، استوجبَ الرَّيَّ من رؤيتك، والسَّلام!

يا صاحبي: تأخذُ بتلابيب قلبي رسائل الأصدقاء التي أقرأها في ثنايا الكُتب!

كتب صديقٌ إلى صديقه يعتذر منه: مثلي هَفا، ومثلك عَفا!

فكتبَ إليه صديقه: مثلك اعتذرَ، ومثلي غفر!

وكتب صديقٌ إلى صديقه: عرِّفني وقتكَ أوافقكَ خالياً،

لا تزاحمني الألسن فيه عن محادثتك، ولا الأعين عن النَّظر إليك،

لأقضيَ حقَّ المودَّة، وآخذ بثأر الشَّوق!

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصريِّ يقول:

إذا وصلكَ كتابي، فعظني، والسَّلام!

فكتبَ إليه، وصلَ كتَابُكَ، اعصِ هواكَ، والسَّلام!

250

كانوا يعبدُون الله في النَّاس!

في كتابِ لواقح الأنوار القُدسيَّة للإمام الشَّعرانيِّ:

كان من عادة جلال الدِّين المَحلِّيِّ في الليالي الباردة المطيرة،

أن يطوف [illegible] عجائز الحَيِّ فيسألهنَّ، إن كانت لهُنّ حوائج من السُّوق فيقضيها!

وجاءته مرَّةً امرأةٌ عجوزٌ وهو في حلقته، وحوله طلَّابه،

وطلبتْ منه أن يشتري لها زيتاً من السُّوق!

فتركَ الدَّرس وقام ليقضيَ حاجتها!

فقالوا له: تتركُ الدَّرس لأجلِ هذه العجوز؟!

فقال: نعم، إنَّ حاجتها أولى عندي من حاجتكم!

يا صاحبي: أرأيت نُبلهم، كانوا يعبدون الله في النّاس!

كان قضاء الحوائج مطلبهم، وجبر الخواطر بُغيتُهم!

فتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلهم، فإنَّ التَّشبُّه بالكرام فلاحُ!

251
لا تنشغلْ بالمكفول وتنسى المطلوب!

في كتابِ تاريخِ دمشق لابنِ عساكر:
شكا رجلٌ إلى إبراهيم بن أدهم كثرة عياله،
فقال له إبراهيم: يا ابن أخي، اُنظر إلى أهل بيتك،
فإن وجدت من ليسَ رزقه على الله، فحوِّله إلى منزلي!
يا صاحبي: إنَّ الواحد منَّا أعجز من أن يرزق نفسه،
فكيف يتخيَّل أنَّه قَادرٌ على أن يرزق غيره؟
إنَّ الله تعالى قد تكفَّل لنا بالرِّزق، وأمرنا بالعبادة،
فانشغلنا بما تكفَّل لنا به، عن الذي أمرنا به!
ليس لنا من الأمر إلَّا السَّعي، وما هو مكتوبٌ لنا سيصل إلينا رغماً عن الدُّنيا،
وما لم يُكتب لنا لن نبلغه ولو كان معنا الإنس والجنُّ قبيلاً،
فأصلِحْ ما أُمرتَ به، ودع لله ما تَكفَّل به!

252

انتـزاعُ السَّهمِ أوجعُ من غرسه!

قال ابن حبَّان في كتابه روضة العقلاء:

الاعتـذارُ يُذهِـبُ الهمـوم ويُجلـي الأحـزان، ويدفـعُ الحِقـدَ، ويُجلـي الصـدَّ!

يـا صاحبـي [illegible]ه لكلامـك أثنـاء الاعتـذار، فانتـزاعُ السَّـهم أوجـعُ مـن غرسـه!

الاعتذار الذي لا يكون بحجم الألم هو ألمٌ آخر،

الأخطاء تترك ندُوباً في القلوب فأحسِن اختيار ضمادك!

واعلمْ أنَّ المرء حين يعتذر يرتفعُ،

وأن النَّبيل يظهرُ معدنه في الخلاف أكثر من الوفاق!

حين عيَّر أبو ذرٍّ بلال بن رباح وقال له: يا ابن السوداء،

وضع خدَّه على الأرض وقال: حتىَّ يطأ بلالٌ رأسي!

بربِّك أيبقى في قلب بلالٍ بعد هذا شيء؟!

253
نفسُكَ أولى بالنَّصيحة!

في كتابِ صِفة الصَّفوة لابن الجوزيِّ:

قال الفُضيل بن عياض: لا تكونوا كالغربال، يُخرجُ الدَّقيق، ويُمسكُ النِّخالة،

تُخرِجون الحكمة من أفواهِكم، ويبقى الغِلُّ في صدوركم!

يا صاحبي: ممَّا قال لقمان لابنه:

إيَّاك أن تُري النَّاس أنَّك تخاف الله، وقلبك فاجر!

من الجميل أن تُحدِّثَ النَّاس عن صلة الرِّحِم، ولكن لا تكن قاطعاً!

ومن الجميل أن تكتب عن التَّسامح، ولكن لا تكن حقوداً!

من الجميل أن تخطب عن التَّقوى، ولكن لا تكن فاجراً!

فإنَّ من كان كلامه في وادٍ وفعله في وادٍ كأنَّما يذمُّ نفسه!

هذا الكلام لا يعني ألا تقول الصواب إذا فعلت الخطأ،

ولكنَّه يعني: نفسُك أولى بالنَّصيحة!

254
إنَّما آخذُ عوداً من هذه الحزمة!

في كتابِ روضة العقلاء لابن حبَّان.
قال الخَطَّاب المخزوميُّ لابنه وهو يعظه:
يا بُنَيَّ، إنَّ زوجة الرَّجل سكنُه ولا عيش له مع خلافها،
فإذا هممتَ بنكاحِ امرأة فسل عن أهلها،
فإن العُروق الطَّيِّبَة تُنبتُ الثِّمار الحلوةَ!
يا صاحبي: إيَّاكَ أن تقول: إنَّما آخذ غصناً من هذه الشجرة!
إنَّ غصن شجرة الغرقد سيطرحُ الغرقد!
وإيَّاك أن تقول: إنما آخذ عوداً من هذه الحزمة،
من النَّادر أن تختلف العِصيُّ في الحزمة الواحدة!
نعم أُمِرنا ألا نأخذَ أحداً بذنبِ غيره،
ولكن من حقِّ أولادِك عليك أن تختار لهم نسباً لا يخجلون به!
ثم لستَ وحدَكَ الذي تُربِّي، في بيت الجدِّ تربيةٌ أيضاً!

255
فرقٌ شاسعٌ بين الصَّراحة والوقاحة!

في كتابِ روضةِ العقلاءِ لابن حبَّان:

قال أبو حاتم: أعظمُ علاماتِ الحمقِ في الأحمق لسانُه، ما خطر على قلبه نطقَ به!

يا صاحبي: يحدثُ أن يُغلِّفَ الأحمقُ حمقه بغلافٍ جميل!

يقولُ لكَ: أنا صريحٌ، وما في قلبي على لساني!

ثمَّةَ فرقٌ شاسعٌ بين الصَّراحة والوقاحة!

ثمَّ قال إنّ الصَّراحة يجب أن تخلو من اللَّباقة!

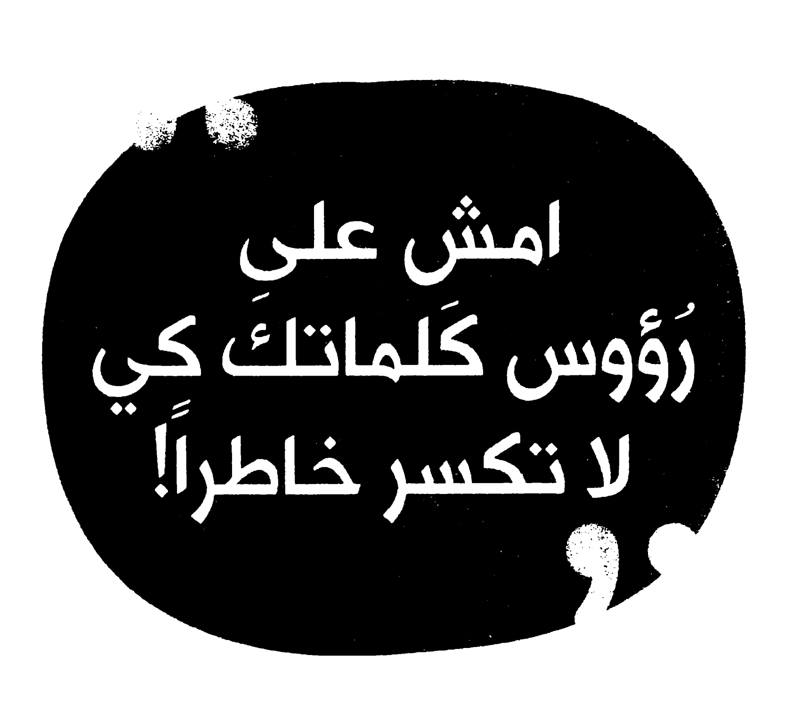
ليس كلُّ ما يخطر على البال يُقال،

وليس كلُّ الذي يُقال إنَّما يجب أن يُقال دجّاً!

سأل بائعُ العسل، بائعَ الخلِّ: لِمَ يُقبِل النَّاس عليكَ ويتركوني؟!

فقال له: أنا أبيع الخلَّ بلسانٍ من عسل، وأنت تبيع العسل بلسانٍ من خلٍّ!




امشِ علىٰ
رُؤوس كَلماتكَ كي
لا تكسر خاطراً!

256

حقُّ الصُّحبةِ تخفيفُ الأحزان!

قال ابنُ حِبَّان في كتابه روضة العقلاء:

الإخوان يُعرفون عند الحوائج، لأنَّ كلَّ النَّاسِ في الرَّخاء أصدقاء،

وشرُّ الإخوان هو الخاذلُ لإخوانه عند الحاجة!

يا صاحبي: ما قيمةُ الصُّحبة إذا احتجتُكَ فلم أجدكَ؟!

ما قيمة أن نضحك معاً، ثمَّ تتركني أبكي وحدي؟!

ما قيمة أن تشاركني لحظات الصَّفوِ، ولا تشاركني لحظات الكَدر؟!

ما قيمة أن تمشي معي أميالاً في صحَّتي، فإذا مرضتُ لم أجدك؟!

ما قيمة يدكَ في يدي وأنا واقفٌ، فإذا تَعثَّرتُ سحبتَها؟!

يأسرني جداً قول النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم لأبي بكرٍ:

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾

حقُّ الصُّحبة تخفيفُ الأحزان!

257

في الحزنِ ستعرفُ من هم أهلُك!

في كتابِ المعرفةِ والتَّاريخِ للفسَويِّ:

إنَّ الإمام طاووس بن كيسان أقام على صديق له مريض،

فلم يزل يداويه حتَّى فاته الحجُّ!

يا صاحبي: إنَّ الفرحَ يشغُلُ أهله،

أمَّا في الحزن فستعرف من هم أهلك، ومن أنتَ أهلهم!

وإن كنتَ تعجبُ ممَّن داوى صديقاً له حتَّى فاته الحج،

فإنَّكَ تَمُرُّ على السِّيرة النَّبويَّة، وتقرأها كأحداثٍ، ولا تقرأها كدستور حياة!

عثمان بن عفَّان أقامَ على تمريض زوجته حتَّى فاتته غزوة بدرٍ!

ومع ذلك قسمَ له النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم من الغنائم!

جميلٌ أن تقوم بحقِّ الله، ولكن لا تنسَ أنَّ الله يُحبُّ الوفاء،

ومن الوفاء أن تقوم بحقِّ النَّاس!

258
وأنا أجمعُ الحطبَ!

في كتابِ التَّبصرةِ لابن الجوزيِّ،
خرج إبراهيم بن أدهم في سفر ومعه ثلاثة نفرٍ،
فدخلوا مسجداً نائياً، والبردُ شديدٌ، وليس للمَسجدِ باب،
فلمَّا ناموا قام إبراهيم فوقَفَ على الباب حتَّى الصبَّاح،
فقيل له: لم تنمْ!
فقال: خشيتُ أن يُصيبكم البرد فقمتُ مقام الباب!
يا صاحبي: قيمةُ المرء ما يعطيه لا ما يأخذه!
وما ارتفع أحدٌ أراد أن يكون النَّاس خدماً له!
ومن أجمل ما قالت العربُ: سيِّدُ القوم خادمهم!
عندما شرعَ الصَّحابة يبنُون المجد كان النَّبيُّ ﷺ ينقلُ معهم الحجارة!
وحين ذبحوا شاةً في سفرٍ، وتوزَّعوا المهام،
هذا يقول: أنا أذبحها، وذاك يقول: أنا أسلخُها،
قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: وأنا أجمعُ الحطب!

259
كُنْ خفيفاً أو خفِّفْ!

في كتابِ المعرفةِ والتَّاريخ للفَسَويِّ:
كان التَّابعيُّ الجليل أبو العاليه إذا زار أصحابه يقول:
لا تتكلَّفُوا لنا، أطعمونا من طعام البيت!
يا صاحبي: إيَّاك أن تُشعر أهل بيت بالتَّقصير!
لو أطعموكَ الخبز فقط، فَكُلْ واشْكُرْ،
ولو سقَوْكَ الماء فقط، فاشربْ واحمدْ،
الزِّيارات للتَّواصل والتَّراحم، وليست للمشقَّة على النَّاس،
الشُعور بالعجز مريرٌ، وقلة ذات اليد تُسوِّدُ الوجه،
والنَّاسُ يتعايشون مع ما ينقصهم، فلا تَرُشَّ الملح على جروحهم،
كُن خفيفاً، أو خفِّفْ!

260
في عَرضِ مُصيبتي فيكَ!

في سِيَر أعلام النُّبلاء للإمام الذَّهبيِّ:
كان للأعمشِ ولدٌ مغفَّلٌ، فقال له يوماً:
اذهب إلى السُّوق فاشترِ لنا حبلاً للغسيل،
فقال: يا أبتِ، بطول كَمْ؟
فقال له: عشرة أذرع.
فقال: في عرضِ كم؟
فقال له: في عرضِ مصيبتي فيك!
يا صاحبي: القصَّة على ظرافتها فيها درسٌ عظيم!
إنَّ الله يُخرج الحيَّ من الميِّتِ، ويُخرج الميِّتَ من الحيِّ!
وقد يُبتلى الصالحون بأولادهم وما خبر ابن نوحٍ منك ببعيد!
وقد يُبتلى الصالحون بزوجاتهم وما خبر زوْجة لوطٍ بخافٍ عليك!
وقد تُبتلى الصالحات بأزواجهِنَّ وقد علمتَ خبر آسيا زوجة فرعون!
فلا تُعيِّرْ أحداً بقريبٍ له، فإنَّما الهداية من الله!

261
أرفعُ العِبادات هي المُجاهَدَة!

في كتابِ المعرفةِ والتَّاريخ للفسَويِّ:

قال أبو حازم: شيئان إذ عملتَ بهما أصبتَ خيرَ الدُّنيا والآخرة!

تعمل ما تكره إذا أحبَّه الله، وتترك ما تُحبُّ إذا كرِهَه الله!

يا صاحبي: أرفعُ العبادات هي المُجاهدة!

أن تتركَ الحرام وأنت تتقطَّع!

وأن تفعل الحلال وأنت تتمزَّق!

أن تقول لله: يا الله، تركتُ لكَ ما أحبُّ لأنَّك كرِهْتَه،

وقمتُ لكَ بما أكره لأنّك تحبُّه،

وسبحان من إذا قمنا لأجل رضاه بخلافِ هوى النَّفس،

ما يلبثُ أن يجعل خلاف النَّفسِ هواها!

262
هذا وعدُ اللهِ!

في كتابِ عُدَّة الصَّابرين لابنِ القَيِّم:
كان محمد بن شِبرِمة إذا نزلَ به بلاءٌ قال:
سحابة صيفٍ ثمَّ تنقشع!
يا صاحبي: هذه الدُّنيا لا تلبثُ على حالٍ!
فاقرأ قول ربِّكَ: ﴿لَتَركَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾!
أي حالاً بعد حال!
ما بعد الضِّيق إلَّا السَّعة،
وما بعد الهمِّ إلَّا الفرج،
وما بعد المرض إلَّا العافية،
ساعةُ الفرج قد تتأخر، ولكنَّها حتماً ستأتي، هذا وعد الله!

263
أمسِكْ عليكَ لسانك!

قال ابنُ القيِّم في كتابِه عُدَّة الصَّابرين:

جُعِلَ الكلام الطيِّب عِوضاً عن الصَّدقة لمن لم يقدر عليها!

يا صاحبي: أمسك عليكَ لسانكَ، فبِه ترتفعُ وتنخفض!

في القرآن: ﴿فَأَثابَهُمُ اللَّه بِما قالوا جَنّاتٍ﴾!

وفي القرآن أيضاً: ﴿وَلُعِنوا بما قالوا﴾!

وفي الحديث: «الكلمةُ الطَّيِّبة صدقةٌ»!

كم من كلمةٍ طيِّبةٍ جاءت كحضنٍ لخائفٍ،

وكم من كلمةٍ طيِّبةٍ جاءت كضِمادٍ لمجروحٍ،

وكم من كلمةٍ طيِّبةٍ جاءت كسَلوى لمحزونٍ،

وَكم من كلمةٍ طيِّبةٍ مسَحَتْ دمعةً، وجبرتْ خاطراً،

النَّاسُ أكثر هشاشة ممَّا تعتقد، تقتلهم كلمة، وتُحيِيهم كلمة!

264
قلبُ المؤمنِ كالثَّوبِ الأبيض!

قال ابنُ القيِّم في كتابه عُدَّة الصَّابرين:
علامةُ موتِ القلبِ ألا تُؤلِمُه جِراحات الذُّنوب!
يا صاحبي: إنَّ قلبَ المؤمنِ كالثَّوب الأبيض تُؤثِّر فيه أدنى لوثةٍ!
وقلب الفاجر كالثَّوبِ الملوَّث بالطِّين لا يُرى فيه أثر لوثةٍ جديدة!
وإنَّ مقتل المرءِ ليس في الذَّنبِ ما دام صاحبه يراهُ ذنباً،
فإنَّ الذَّنْبَ يعقبه توبة، والمعصية يعقبُها استغفار،
ولا ضررَ على ثوبٍ كلَّما اتَّسخَ سارعَ صاحبُه وغَسله!
وإنَّ مقتلَ المرء ألا يرى الذَّنْبَ ذنباً،
أن يألفَ المعصية إلفة من يراها الأصل،
وأن يصيبَ الذَّنْبَ بعد الذَّنْبِ فلا يشعر أنَّ الثَّوب قَد اتَّسخ!
مقتل القلب ليس في الذَّنبِ الذي يُصيبك فيُبكيك،
وإنَّما في الذَّنْبِ الذي يُصيبُك فيُخدِّرُك!

365
التَّعوُّد على النِّعمة!

في كتابِ عُدَّة الصَّابرين لابنِ القيِّم:
قال الحسن البصريُّ: إنَّ الله يُمتِّع بالنِّعمة ما شاء،
فاذا لم يُشكر عليها قلبها عذاباً،
لهذا كانوا يُسمُّون الشَّكر: الحافظ الجالب!
لأنَّه يحفظُ النِّعم الموجودة، ويجلبُ النِّعم المفقودة!
يا صاحبي: من يهمِل النِّعم يُجازى بفقدها،
وأسوا ما يُصاب به المرءُ هو التَّعود على النِّعم،
بحيث ينظرُ إليها فلا يعود يراها نعماً!
أن يكون في كامل عافيته فلا يشكر نعمة الصحَّة،
وأن يدخلَ إلى بيته ويخرجَ فلا يشكر نعمة البيت والأُسرة،
وأن يكون له دخلٌ ثابتٌ وآمن فلا يشكر نعمة الغنى،
إذا أردتَ أن تعرف نعمة ما أنت فيه تخيَّلْ أنَّك تفقدها!

266

الجنَّة أقرب إلى أحدكم من شِراكِ نعله!

قال ابن القيِّم في كتابه عُدَّة الصَّابرين:

إذا كان الله سبحانه قد غفر لمن سقى كلباً على شدَّة ظمئه،

فكيف بمن سقى العطاش، وأشبع الجياع، وكسا العراة من المسلمين؟!

يا صاحبي: قد تُشترى الجنَّة بموقفٍ واحد!

ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم،

قالها له النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يوم جَهَّز جيش العُسرة!

أوجبَ طلحة، قالها له النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يوم أُحد!

قد تكون جنَّتُكَ بعلبةِ دواءٍ تشتريها لمريض،

وقد تكون جنَّتُكَ برغيف خبزٍ تراه قليلاً وهو عند الله كثير،

وقد تكون جنَّتُكَ بجبر خاطر، أو قضاء حاجة!

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: الجنَّة أقرب إلى أحدكم من شِراك نعله والنَّارُ كذلك!

267
لا تتعلَّقْ بالأسبابِ وتنسى المُسبِّبَ!

قال ابنُ القيِّم في كتابه إغاثةُ اللَّهفان:
من كمالِ فطنةِ العبد ومعرفته أن يعلم:
أنَّه إذا مسَّه الله بسوءٍ لم يرفعه عنه غيره!
يا صاحبي: أُطلبِ الأشياء ممَّن هي عنده!
إذا أصابكَ المرض، فاطرُقْ باب الشَّافي!
وإذا أصابكَ الفقر، فاطرُقْ باب الرَّازق!
وإذا أصابك الفقد، فاطرُقْ باب المُواسي،
وإذا أصابكَ الهمُّ، فاطرُقْ باب من يُفرِّج الكُرُبات،
النَّاسُ ليسوا إلَّا أسباباً، فلا تتعلَّق بالسَّبب وتنسى المُسبِّب،
الله تعالى يشفي، ويرزق، ويجبر، ويعطي،
بالسَّبب، وبدون سبب، وبخلاف السَّبب!

268

ولم يسلمْ منك أخوكَ المسلم!

في البداية والنِّهاية لابن كثير:

قال سُفيان بن حسين: ذكرتُ رجلاً بالسُّوء عند إياس بن معاوية،

فنظرَ في وجهي، وقال: أغزوتَ الرُّوم؟

قلت: لا.

قال: فالسِّنْدُ، والهِندُ، والتُّرُك؟

قلتُ: لا.

فقال: سَلِمَ منكَ الرُّوم والسِّندُ والهندُ والتُّركُ ولم يسلم منك أخوك المسلم؟!

يا صاحبي: أسوأ ما يكون عليه المرء في حياته،

أن يكون بخلاف قول الله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤمِنينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكافِرينَ﴾!

فتجدُه إذا انتهكت حُرُمات الله لا يتمعَّرُ له وجه،

وإذا قيلت له الكلمة في نفسه أقام الدُّنيا ولم يُقعدها!

أن يرى المسلمين يُذبحون في بلاد الله فلا يحرِّك ساكناً لنُصرتهم،

وتجده يحارب أرحامه لأتفه الأسباب!

269
إنَّما يُعرفُ النُّبلاء بإقالةِ العثرات!

في كتابِ التَّوبيخ والتَّنبيه للأصبهانيِّ:
قال بكر المزنيُّ: احملوا إخوانكم على ما كان فيهم،
كما تُحبُّون أن يحملوكم على ما كان فيكم،
فليس كلّ من رأيتَ منه سقطةً وقع من عينك!
يا صاحبي: إنَّما يُعرفُ النُّبلاء بإقالة العثرات!
ما من جوادٍ إلَّا وله كبوة!
وما من فاضلٍ إلَا ويخونه طبعه مرَّة،
ومن كثُرَ فضلُه، وُهبتْ عثرتُه لكثرة فضله،
تعلَّمنا في الفقه أنَّ الماء إذا كثُر لم يعد يحتمل الخبث!
ومن أقرب أبيات الشعر لقلبي، قول علي بن الجهم:
ومَن ذا الذي تُرضى سجاياهُ كلُّها، كفَى المرءُ نُبلاً أن تُعدَّ معايبُه!

270

ضربني وبكى، وسبقني فاشتكى!

في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة:

قال الشَّعبيُّ: حضرتُ مجلس القاضي شُريحٍ يوماً،

فجاءته امرأةٌ تخاصِم زوجها باكية،

فقُلتُ له: يا أبا أُميَّة، ما أظنُّها إلَّا مظلومة!

فقال لي: وما علمك؟

قلتُ: لشِدَّة بكائنا وكثرة دموعها!

فقال لي: يا شعبيُّ، إنَّ إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاءً يبكون!

يا صاحبي: يحدث أن يرتدي الظَّلمة ثيابَ المظلومين،

ويصدُق في النَّاس قولهم: ضربني وبكى، وسبقني فاشتكى!

فلا تحكم بعاطفتك، ولا تقضي دون أن تسمع من الطَّرفين!

النَّاس دوماً يخبرونك ما فعل الآخرون بهم،

ولكنَّهم لا يُخبرونك لأجل أيِّ شيءٍ فعل هذا الآخرون بهم!

271

العقُولُ كالأموالِ، أرزاقٌ!

في كتاب البصائر والذَّخائر لأبي حيَّان التَّوحيديِّ:

قال غيلان بن جرير: عقول النَّاس على قدر زمانهم!

يا صاحبي: إنَّ العقول كالأموال، أرزاقٌ!

هكذا هي في كلِّ عصرٍ والنَّاس فيها غنيٌّ وفقير، وما بينهما!

ولكنَّ الذي يختلف من عصرٍ إلى عصرٍ هي مضامير سباقِ الأفهام!

وإنَّ الله تعالى يهبُ لأهلِ كلِّ زمانٍ من العقل،

بمقدار ما ينفع لهذا الزَّمان، وتستمرُّ به عمارة الأرض!

مثلاً، حافظة العرب الرَّهيبة للشِّعرِ في الجاهلية،

وتناقلهم القصائد الطِّوال عن ظهر قلبٍ دون أن يخرموا منها حرفاً،

إنَّما كان تهيئةً لهذه الأمَّة الأمِّيَّة لينطبع القرآن في أفئدتها!

وهذا زمنٌ قلَّت فيه الحافظة، وكثرت فيه القدرة على الاختراع!


النَّاس قبل أن يكون
لهم حاجاتٌ فإنَّ
لهم كراماتٌ!

272

من أحبَّ اكتوى!

في كتاب البصائر والذَّخائر لأبي حيَّان التوحيديِّ:
من ليس له عُلقةٌ ليس له حرقةٌ!
يا صاحبي: أجملُ كلمةٍ قالها ابنُ حزم في طوقِ الحمامة:
الحبُّ، أعزَّكَ الله، أوَّله هزلٌ وآخره جِدٌّ!
لقد قرنَ الحُبَّ بقوله: أعزَّك الله، لأنّ من أحبَّ ذَلَّ!
وليس بالضَّرورة ذاكَ الذلُّ الهادرُ للكرامة!
ولكن من وجوه الذُّلِّ اللَّذيذ ألا يملك المرءُ قلبه!
فمن أحبَّ اكتوى، ومن ذاقَ عرفَ، وليس الخبرُ كالمعاينة!
وكم من ملكٍ حَكم بلاداً وعباداً، فحكمَهُ بعد ذلك رمشٌ كحيلٌ!
قال رجلٌ لعمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:
يا أمير المؤمنين، إنِّي رأيتُ امرأةً فعشقتها!
فقال له عمر: ذاكَ مما لا يُملك!

273
لا عِلمَ إلَّا لمُجرِّبٍ!

قال ابنُ رجب في كتابه لطائفِ المعارف:
سلوا اللّه الثَّبات على الطَّاعات إلى الممات،
وتعوَّذُوا به من تقَلُّبِ القلوب،
فما أوحش ذُلَّ المعصيةِ بعد عزِّ الطَّاعة!
يا صاحبي: لا يعرفُ ألمَ الهجران إلَّا من ذاقِ لذَّة الوصل!
ولا يعرفُ جحيمَ الوحشة إلَّا من ذاق نعيم الأُنس!
إنَّ الذي لم يذق لذَّة قيام اللَّيل،
لن يعرفَ أبداً ما يفقد، فَلا عِلمَ إلَّا لمُجرِّب!
أمَّا الذي قام، فأنصبَ قلبه، وحلَّقَ في ملكوت القُرب،
يعرفُ جيِّداً وجع أن تتبدَّل الحال إلى حالٍ أخرى،
كلُّ المؤمنين يشتاقون إلى الجنَّة،
لكن لا أحد له شوقُ آدم وحوَّاء، من عاشَ فيها ليس كمن سمِع عنها!

274
تركنا ما بين أيدينا تصديقاً لما بين يديك!

قال ابنُ رجبٍ في كتابِهِ لطائفِ المعارف:
طوبى لمن تركَ شهوةً حاضرةً لموعدِ غيبٍ لم يره!
يا صاحبي، كلُّ حرفٍ في القرآن موضوعٌ في المكان الذي لا يقبلُ غيره،
وكلُّ مفردةٍ في الآيةِ لو طفتَ أرجاء اللُّغة ما جئت بمثل دلالتها!
وحين أخبرنا اللهُ تعالى في سورة البقرة عن صفات المتقين، قال:
﴿الَّذينَ يُؤمِنونَ بِالغَيبِ وَيُقيمونَ الصَّلاةَ وَمِمّا رَزَقناهُم يُنفِقونَ﴾
قَدَّم الإيمان بالغيب على الصَّلاة والزّكاة والصَّدقة!
لأنَّ هذا الدِّين قائمٌ على الغيب أكثر من قيامه على المُشاهد!
الجنَّة، والنَّار، والبرزخ، والحشر، والصِّراط، والميزان، والملائكة كلُّها غيبٌ!
ولا ينفعُ إيمانُ مؤمنٍ إذا شكَّ في واحدٍ منَّا!
وإنّ الذين يتركون المعاصي للهِ لأجل وعدِ الجنَّة،
كأنَّما يقولون لله: تركنا ما بين أيدينا تصديقاً لما بين يديك!

275

أمسكي عليكِ دلالكِ!

في كتابِ عيون الأخبار لابن قتيبة:

قالتْ عليَّة بنت المهدي أخت هارون الرَّشيد:

نحن نساءٌ مع رجالنا، رجالٌ مع غيرهم!

يا صاحبي: اختصرتْ عليَّة الأنوثة بجملةٍ واحدة!

طبع المرأة النُّعومة، ودلالها سيفٌ قاطعٌ في قلوبِ الرِّجال!

﴿فَلا تَخضَعنَ بِالقَولِ﴾،

قالها الله تعالى لأطهر نساءِ الأرض، زوجات النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم،

وهُنَّ يعِشْنَ بين الصَّحابة أطهر رجال الأرض!

أمسكِي عليكِ دلالكِ، ولا تخضَعِي، لا بالواقع ولا بالمواقع!

فكم من نارٍ عظيمةٍ بدأت بشرارةٍ صغيرةٍ!

276
دعْ للأرواحِ مُتَنفَّسها!

في كتابِ التوبيخ والتَّنبيه للأصبهانيِّ:
قال الإمامُ الأوزاعيُّ: إذا بلغكَ عن الرَّجل شيءٌ، فلقيتَه فأنكره، فالقول قوله!
يا صاحبي: دعْ للأرواح مُتنفَّسَها، ولا تحشر النَّاس في الزَّاوية،
روى الشَّيخان من حديث أبي هريرة عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم،
قال: رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق!
فقال له: أسرقتَ؟
فقال: لا!
فقال عيسى: آمنتُ بالله، وَكذَّبتُ عيني!
سياسة أن ندعَ للأرواح مُتنفَّسها لا تعني أن نكون أغبياء، وإنَّما تعني أنَّ الكثير من أمور الحياة يجب ألا نقف كثيراً عندها!

277
لا أعدِلُ بالسَّلامة شيئاً!

في كتابِ المُجالسة وجواهرِ العلم للدينوريِّ:

قال بكر المُزَنيُّ: اجتهدوا في العمل، فإذا قَصَّرتُم فَكُفُّوا عن المعاصي!

يا صاحبي: العبادة نوعان: الفعلُ لله، والتَّرْكُ لله!

الفعل للهِ أن تفعل ما أُمِرتَ، والتَّركُ لله أن تتركَ ما نُهيت عنه!

أجل، تكون العبادة للهِ هي ألا تفعل!

وإنَّ الذين يتركون لله، لا يقلُّون أجراً عن الذين يفعلون لله!

سُئِلَ ابن عبَّاس عن رجلين:

أحدهُما كثيرُ الطَّاعة والذُّنوب، والآخر قليلُ الطَّاعة والذُّنوب؟

فقال: لا أعدِلُ بالسَّلامةِ شيئاً!

278

لا شيءَ يعدِل الطمأنينة!

في كتاب عيونِ الأخبارِ لابن قُتيبة:
قال محمَّدٌ التَّيمِيُّ: ما شيءٌ أثقل عليَّ من المروءة!
فقيل له: وأيُّ شيءٍ المروءة؟
فقال: لا تعمل شيئاً في السِّرِّ تستحي منه في العلانية!
يا صاحبي: إنَّ لنفسكَ عليكَ حقّاً،
ومن حقوقها عليكَ ألَّا تُهِنْها، ولا تجعلها تمشي في دروبٍ لا تليق بها،
وأن ترفعها عن الزَّائف من النَّاس، والملوَّث من العلاقات،
وأن تُورِدها مورد النَّقاء، فيكون ظاهرُكَ كباطنك،
وتضع رأسكَ على وسادَتِك آخر اللَّيل وكلُّ شيءٍ فيك مطمئن،
لا شيءَ يعدلُ الطُّمأنينة، لا شيءَ!

279

نحنُ مدينُون للهُجران!

في كتابِ اعتلال القُلوب للخرائطيِّ:
قيل لأعرابيِّ: ما لَذَّةُ الدُّنيا؟
فقال: تواصل بعد اهتجار، وتصافٍ بعد اعتذار!
يا صاحبي: ما أسِف المُحبُّون على هجرانٍ أعقَبَه الوصل،
ولا على تعكيرٍ أعقبَهُ التَّصافي!
لولا الهجرُ ما أَنِسَ المُحِبُّون بِلَذَّة الوصل،
كأنَّه ميلادٌ جديد، ونارٌ تأجَّجَت بعدما خبَتْ،
ولا تستغربْ إذ أقول لك: نحنُ مدِينُون للهُجران!
ذاك لأنَّه يُرِينا أحجامَنا الحقيقيَّة في قلوب أحبابنا!
وكم من مُحبَّين تَرامَيَا نِبَال الكلام كأنَّما بينهما حرب،
ثمَّ يغفرُ كلٌّ واحدٍ لصاحبه ما لا يغفره لغيره،
الحُبُّ الحقيقيُّ دائماً فيه شيءٌ من أتون المعارك!

280

لا يعملُ المرءُ بقدرِ عقلِه، وإنَّما بقدرِ قلبه!

في كتاب أدب الدِّين والدُّنيا للماورديِّ:
قيل في تأوِيل قول الله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ﴾.
أي بحسبِ عقله!
يا صاحبي: لا يعملُ المرءُ بقدرِ عقلِه، وإنَّما بقدرِ قلبه!
عقولُ الصَّحابة في الجاهليَّة هي عقولهم في الإسلام،
ولكنَّ القلوب لم تعد هي ذات القلوب!
وكم من حامل شهاداتٍ هو في مسألة الإيمان كالدابَّة،
وكم من أميٍّ هو في مسألة الإيمان كأتقى ما يكون المرء!
عندما ترجمَ الإمام الذَّهبيُّ لابن الرَّيونديِّ قال:
الملحدُ ابن الرَّيونديِّ، كان من أذكياء الدَّهر!
لعن الله الذَّكاء بلا إيمان، ورضِيَ عن البَلادة مع التَّقوى!

281
سبحانكَ ما عبدناكَ حقَّ عبادتِك!

قالَ ابنُ القيِّم في كتابِه طريقِ الهجرتين:
إنَّ اللّه إذا اراد بعبدٍ خيراً سلبه رؤيةَ أعماله الحسنة،
وشَغَله برؤيةِ ذنبه، فلا يزال نُصبَ عينيه حتَّى يدخلَ الجنَّة!
يا صاحبي: كلَّما استكثرتَ عبادتَك تَذَكَّرْ عبادة الملائكة!
﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيلَ وَالنَّهارَ لا يَفتُرونَ﴾،
التَّسبيح يجري منهم مجرى التَّنَفسِّ منَّا!
يُبعثون يوم القيامة يقولون: سبحانكَ ما عبدناكَ حقَّ عبادتك!
وكلَّما استصغرتَ ذَنْبَكَ، فتذَكّرْ عظمة الذي عصيتَه!
ما يزال المسلمُ بخيرٍ ما دام يستصغِرُ طاعته، يستعظم ذنبه،
الهلاك، كلُّ الهلاك أن يستعظِمَ طاعته، ويستصغر ذنبه!

282
قَيِّدْ أُناسَكَ بالحُبِّ!

في كتابِ تاريخِ دمشق لابن عساكر:
كتب والي حمص إلى عمر بن عبد العزيز،
يطلبُ منه مالاً كثيراً ليبني سوراً حول المدينة!
فكتب إليه عمر: حصِّنها بالعدل، ونقِّ طرُقَها من الظُّلم، فذلك أمنع لها!
يا صاحبي: إنَّ البيوت بلادٌ أيضاً!
ألف قفلٍ لا يُبقون ساكنِيه معك كما يُبقيهم الحُبُّ،
وألفُ جدارٍ لا يمنعُهم من الفرار منك كما يمنعهم حسن خُلقِكَ معهم،
وألفُ سوطٍ لا يطوِّعونهم لكَ كما تطوعهم حُسنُ عِشرتِك!
القاسي يُهابُ في حضوره، والحنون تُحفظُ غيبته!
والفظُّ يُطاع خوفاً، واللَّيِّنُ يُطاع حُبّاً!
قيِّدْ أُنَاسَك بالحُبِّ، لا يوجد حَبلٌ أمتن من حَبلِ القلبِ!

283
كَكَلبِ الصَّيدِ!

في كتابِ تاريخِ دمشق لابنِ عساكر:
سأل عمر بن عبد العزيز جلساءه، من أحمقُ النَّاس؟
فقالوا: رجلٌ باع آخرتَه بدُنياه!
فقال: أأُنبِّئُكم بأحمقِ منه؟
فقالوا: نعم.
فقال: رجلٌ باعَ آخرتَه بدُنيا غيره!
يا صاحبي: إيَّاكَ أن تكون ككلبِ الصَّيد،
يلهثُ وراء الطَّريدةِ وليس له من الأمر إلَّا التَّعب!
كم من شهادةِ زورٍ في الميراثِ أكسبتْ إنساناً دُنيا وخسَّرت آخرَ آخرتَهُ!
وكم من مرافعةٍ ظالمةٍ قلبتْ الحقَّ باطلاً، والباطلَ حقّاً.
أفلتَ بسببِها المُجرم، وعُوقبَ بريءٌ!
لا تُصلِح دنيا غيرِك بفسادِ آخرتِك!

284

لكثرةِ وقيعتِه في النَّاس!

في كَتابِ الدُّررِ الكامنةِ لابنِ حجرٍ العسقلانيِّ،
ذكرَ ابن حجرٍ في ترجمتِه للحافظ ابن سند:
في أواخر عمره تغيَّر ذهنه، ونسِيَ غالبَ محفوظاتِه، حتَّى القرآن!
ويُقال إنَّ ذلك كان عقوبةً له لكثرةِ وقيعتِه في النَّاسِ!
يا صاحبي: إيَّاك أن تُفسد ما بينك وبين الله بالاستطالة على خلقه!
قد يُحرَمُ المرءُ القيامَ بغيبة!
وقد يُحرَمُ المرءُ ممشاهُ إلى الصَّلاة بنميمة!
وقد تنغلُّ يده إلى عنقِه فيمسك عن الصَّدقة بأذى النَّاس!
وقد يعلو مصحفَهُ الغبار بقطيعته للأرحام!
إن لم يسلمِ النَّاس من يدك ولسانك فعن أيِّ إيمانٍ نتحدَّثُ!

285
ما ظنُّكَ باثنين اللهُ ثالثُهما؟!

قال القرطبيُّ في تفسيره عن قول الله تعالى:

﴿فَإِنَّكَ بِأَعيُنِنا﴾،

حيث نراكَ، ونحفظُكَ، ونحوطُكَ، ونحرسُك ونرعاكَ!

يا صاحبي: العبادات كهف اللهِ فمن دخله فقد أمِن!

الأذكار تِرسٌ يردُّ عنك الحسد!

والصَّدقةَ خُوذَةٌ تمَنعُ عنك الشَّرَّ!

والتَّسبيح سَعَةُ الضِّيق، ولولا أن كان يونس من المسبِّحين لهلك في بطن الحوت!

والعقيدة الصَّحيحة خندق حَام!

كثيراً ما أتأمَّلُ قول أبي بكرٍ للنَّبيِّ ﷺ والمشركون قد أحاطوا بالغار!

يا رسول الله: لو أنَّ أحدهم نظر أسفل قدميه لرآنا!

والنَّبيُّ ﷺ يقول له: يا أبا بكر، ما ظنُّكَ باثنين الله ثالثهما؟!

286
لجبرِ الخواطر وليستْ لملءِ البُطون!

في كتابِ الآدابِ الشَّرعيَّة لابن مفلح،
كان ابن تيمية إذا دُعيَ إلى طعام،
أكل في بيته ما يكسِرُ نهمتَهُ قبلَ ذهابه!
يا صاحبي: هذا من غريب النُّبْلِ الذي قرأته في حياتي!
وقد عدَدْتُه من النُّبْلِ، وحُسن الخُلق، لأمرين:
الأول: لأنَّ فيه من إكرام النَّفس الكثير،
فهو لا يريد أن يبدو جائعاً جشِعاً عند مضيفه!
الثَّاني: لأنَّ فيه التَّخفيف على صاحب الضِّيافة،
فرُبَّما كان الطعام قليلاً والمدعُوُّون كُثُر،
ولو أراد كلُّ واحدٍ منهم أن يملأ بطنه عن آخره ما كفاهم الطَّعام،
ولأُصِيبَ صاحبُ المنزلِ بالحَرج!
على أيَّة حالٍ إجابةُ الدَّعوات لجبرِ الخواطر وليست لملءِ البُطون!

287
لغةُ العربِ تأخذُ بالقلوب!

في كتابِ مناقبِ الإمام الشَّافعيِّ للإمام البيهقيِّ:
قال الحسنُ بن محمد الزعفرانيِّ: كان قومٌ من أهل العربيَّة،
يأتون إلى مجلسِ الشَّافعيِّ ويجلسون ناحية،
فقُلتُ لرجلٍ منهم: إنَّكم لا تتعاطون الفقهَ فلِمَ تأتون معنا؟
فقال: نُسمعُ لغةَ الشَّافعيِّ!
يا صاحبي: لغة العرب تأخذ بالقلوب، والفصاحة تسلبُ الألبابَ!
قد حدث لي شيءٌ مشابهٌ لأصحاب الشَّافعيِّ،
قد استمعتُ لشرحِ الموطَّأ كاملاً للشَّيخ سعيد الكَمَليِّ،
والفقه الذي كان يشرحه، رغمَ أنَّه مادَّةٌ عظيمة،
لكن شدَّتني لغته، وأطربتني فصاحته، ولفتتني حسن عبارته،
من كان مولعاً بالأدبِ وأخبار العرب، يجد عند الشيخ ضالَّته،
يستطرد في شرحه بقصص بلغت المئات،
حوَّل بذلك جفافَ الفقهِ، إلى حديقةٍ غنَّاء فيها الأزاهير!


وما عُبِدَ اللّهُ تعالى
بشيءٍ أَحبّ إليه من
قضاءَ حوائجِ النَّاس

288
لتسكنَ إليَّ!

قال الطبرانيُّ في تاريخه:

سَكنَ آدمُ الجنَّة، فكان فيها مستوحشاً،

فنامَ نومةً فاستيقظ، فإذا عند رأسه امرأةٌ خُلِقتْ من ضلعه،

فسألها: ما أنتِ؟

فقالت: امرأة!

فقال لها: ولِمَ خُلِقْتِ؟

فقالتْ: لتسكُنَ إلَيّ!

يا صاحبي: الزَّوجة الليِّنة في طبعها، الهيِّنة في معاملتها، من نعيم الدُّنيا!

وإنَّ الواحدَ منَّا لا يأنس بشيءٍ أُنسَه بامرأةٍ جميلةٍ صالحةٍ!

إن نظرَ إليها ملأتْ قلبه وعينه وكانت سببَ عفَّته،

وإن حدَّثها استأنسَ بها، فلا أحلى من حديث القلوب،

وستعرف أنَّك أحسنتَ الاختيار عندما يكون رجوعك إلى البيت،

أحلى على قلبك من الخروج منه!

289
وليس لكَ عندي إلَّا ما تُحِبُّ!

في كتابِ العِقدِ الفريدِ لابنِ عبد ربّه:
عاتب رجلٌ صاحبه، وأطال، والصَّاحبُ صامتٌ لا يردُ،
فقال له: ما لكَ لا تردُّ؟!
فقال: إن أجبتُك، أجبتُكَ بما تكره، وليس لكَ عندي إلَّا ما تُحبُّ!
يا صاحبي: لن تعرفَ أصدقاءك في أوقات الرخاء،
أوقاتُ الشِّدَّة حقّاً ستخبرُك بهم!
والنُّبلاء أجمل ما يكونون في لحظاتِ الخصام!
وقديماً قالت العرب: لا تأمن لأحدٍ حتَّى تُخاصِمَه!
فإن خاصمتَه فلم تهُن عليه فهذا هو صاحبُك!
وإن خاصمتَه ففجرَ في الخصومة فهو لم يكن يوماً صاحبُكَ!

290

كان ينظرُ إليَّ بعينين ليسَتَا في رأسك!

قال ابنُ حزم في كتابه طوقُ الحمامة:

ينظـرُ الحبيـبُ إلـى حبيبِـه بعيـنٍ، تعتقـدُ أنَّ اللهَ لـم يخلـق غيـره!

يا صاحبي: إنّ للمُحِبِّ حواساً ليست للنَّاس!

صوتُ حبيبِه عنده نغمةٌ وعزف،

ووجهُهُ عنده قمرٌ وبدر،

ولمستُه عنده دواءٌ وطِبٌّ،

وحضنُه عنده أرحب الأماكن الضَّيِّقة في هذا العالم!

قديماً، دخلت بثينة على عبد الملك بن مروانٍ فقال لها:

يا بُثينة ما أرى فيكِ شيئاً ممَّا كان يقول جميل!

فقالـت لـه: يـا أميـر المؤمنيـن، إنَّـه كان يرنـو إلـيَّ بعينيـنِ ليسـتا فـي رأسـكَ!

291
شيخٌ صالحٌ مشتغلٌ بنفسِه!

من فرائد تعبيرات الذَّهبيِّ في سِيَر أعلام النُّبلاء،
قوله في ترجمة بعضهم: شيخٌ صالحٌ مشتَغِلٌ بنفسِه!
يا صاحبي: تأمَّلها بقلبِكَ لا بعينيك!
شيخٌ صالحٌ مشتغِلٌ بنفسه!
ما أعظمها من كلمةٍ، وما أصعبَها!
وهنيئاً لمن وعاها، وعمل بها، فكان كالشيخ!
أن يُغلق باب قلبه على نفسه ويعمل على إصلاحه،
وأن يغلق باب عينيه عمَّا في أيدي النَّاس،
فلا يمُدَّنَ عينيه إلى ذي نعمة،
ولا يخوض في أمرٍ ذي ذنبٍ!
يعرفُ أنَّه عمَّا قليلٍ مسافر، وما هو هنا إلَّا لجمعِ الزَّاد!
فيا حظَّ من كان زاده الإقبال على نفسه والزُّهد في النَّاس!

292
وهل بلاءُ النَّاسِ إلّا في النَّاس؟!

في كتاب سِيَر السَّلفِ للأصبهانيِّ:
قال إبراهيم بن أدهم: من أراد الرَّاحة،
فليُخرجِ الخلقَ من قلبه حتَّى يستريحَ!
يا صاحبي: وهل بلاء النَّاس إلَّا في النَّاس؟!
فمن وعاها فقد استراح وأراح!
إنَّ النَّظر لما في أيدي النَّاس يُفسد عليك الاستمتاعَ بما في يديك!
وانَّ ملاحقة عثراتِ النَّاس يشغلك عن ملاحقة عثراتك!
وإنَّ الاهتمام بتفاصيل حياة النَّاس، ما يلبثُ أن يُنسيك حياتك!
ولو اشتغل الإنسان بتطوير نفسه،
بدلَ مراقبةِ النَّاجحين، وذمِّهم، وادِّعاء أنَّه لم يأخذ فرصته،
ربَّما سبقهم وفاقهم، وبوقتٍ وجهدٍ أقلَّ من الانشغال بهم!

293
اختلاف المرجعيَّة!

في كتابِ بهجةِ المجالسِ لابن عبد البَرّ:

سُئِلَ الحسنُ البصريّ عن قول النَّبيِّ ﷺ: لا تستضيئُوا بنارِ المشركين!

فقال: أراد لا تستشيروا المشركين في أمركم ولا تأخذوا برأيهم!

يا صاحبي: إنَّ كلَّ الاختلاف الذي تراه في النَّاس،

يعود إلى شيءٍ واحدٍ هو اختلاف المرجعيَّة!

وإنَّ حُكمَ إنسانٍ على قضيَّةٍ يكشف لك منظومة قيَمِه ومعتقداته،

وهذه هي باختصارِ المرجعيَّة!

صحيح أنَّ الحكمةَ ضالَّة المؤمن وحيثما وجدها فهو أولى النَّاس بها!

ولكنَّ الصحيح أيضاً أنَّ اختلاف المرجعيَّات يعني اختلاف الأحكام!

على سبيل المثال، القروض الرِّبويَّة عند قومٍ هي حلٌّ عبقريٌّ،

بينما هي عند أهل الإيمان طامَّة من الطَّوام!

فلا تطلب هدى الآخرة عند من ضَلَّ أساساً عنها!

294
ثمَّة مواقفُ يفقدُ فيها الفصيحُ فصاحتَه!

في كتاب الزَّهرة لأبي بكرٍ الأصبهانيِّ،
قيل لبعض الحكماء: متى يصيرُ البليغُ عَيِيّاً؟
فقال: إذا سُئلَ عما يتمنَّاه، أو شكا ما به إلى من هواه!
يا صاحبي: ثمَّة مواقف يفقد فيها الفصيح فصاحته!
وإنَّك ترى الرَّجل فيه ثبات الدُّنيا،
وهو في حضرةِ من يُحِبُّ كأنَّما الأرض تهتَزُّ من تحته!
وترى الخطيب المفوَّه الذي لا يهاب المنابر والجُموع،
وهو أمام عيون من يُحِبُّ يتلعثم كأنَّما تعلَّم الكلام لتوِّه!
أسهلُ شيءٍ على الإنسان أن يتحدَّث عمَّا في قلوب النَّاس،
وأصعب شيءٍ أن يتحدَّث عمَّا في قلبه!

295
سُبحانَ من ألانَ للنِّساءِ قلوبَ الرِّجال!

في معجمِ لسانِ العربِ لابن منظور:
المرأةُ فيَ لسان العرب يُقال لها: حَنَّة!
فيُقال: فلانةٌ حنَّةُ فُلانٍ، أي زوجته!
وفي هذا يقول ابن القيِّم: سُمِّيت الزَّوجة حنَّة، لأنَّ الرَّجل يحِنَّ إليها أينما كان!
يا صاحبي: سبحان من ألانَ للنِّساء قلوب الرِّجال!
وسبحان من وهبَ الرَّقيقاتِ مهارة اصطياد الأشدَّاء!
وإنَّك لترى الرَّجل فتحسب أن لا قلب له،
وقد يكون مع زوجته كما يكون الصبيُّ مع أمِّه!
وترى الرَّجل الذي يُحسبُ له ألف حساب،
وقد يكون في رضى من يُحبُّ كأنَّما هو رعِيَّة تُسابق في رضى مَلِكَتِها!
فيا اللّه: اجعلْ ميْلَنا حلالاً، وحَنانَنا حلالاً!

296
ما ازددتُ فيك إلا حُبّاً!

في كتابِ مكارمِ الأخلاقِ للخرائطيِّ:

قال الأصمعيُّ: نظرَ الفُضيلُ إلى رجلٍ يشكو إلى رجل،

فقال له: يا هذا، تشكو من يرحمكَ إلى من لا يرحمك؟!

يا صاحبي: إنَّ أفضل ما يَملأُ به المرءُ قلبَه هو الرِّضى عن الله!

أن تضيقَ دنياه فلا تسمعه شاكياً،

وأن يفقدَ فلا تراه متسخِّطاً!

وأن يمرضَ فلا تراه مُتبرِّماً!

يستحي أن ينظرَ الله إليه فيجده لا يرضى!

أصابتْ آفةٌ قطيعَ أعرابيٍّ، فرفع يديه يدعو، وقال:

سبحانك، لو قطَّعتني صروف الدَّهر، ما ازددتُ فيكَ إلا حُبّاً!

297
إنَّ اللهَ لا يمنعُ إلّا ليعطي!

في كتابِ مكارمِ الأخلاقِ للخرائطيِّ،
قال شيبانُ الرَّاعي لسفيان الثَّوريِّ:
يا سُفيان، عُدَّ منع اللهِ إيَّاكَ عطاءً، فإنَّه لم يمنعكَ بُخلاً، وإنَّما منَعكَ لُطفاً!
يا صاحبي: سألتْ البنتُ أمَّها: لِمَ لَمْ يُعطني اللهُ ما أريد؟!
فقالت لها: إنَّ الطَّبيبَ يُعطينا الدَّواء الذي يشفينا لا الدَّواء الذي نُحِبُّه!
إنَّ اللهَ تعالى لا يمنعُ في طريقٍ، إلَّا ليعطي في غيره!
ولكن للأسف إنَّ صَبْرَنا قليلٌ، ورُؤوسَنا يابسة!
نحسبُ أنَّ الخَير فيما نريدُ، وقد يكون الخيرُ كلَّه في أن لا نُعطاه!
بكى موسى عليه السلام في قصرِ فرعون يريد أن يرضعَ!
حرَّمَ اللهُ تعالى عليه المراضع، منعه من الشَّيء الذي يريده،
ولو أعطاه ما يريد ما كان ليعود إلى أمِّه!

298
سَابِقْ في مِضمارِكَ!

قال الإمام الذَّهبيُّ في السِّيَر في ترجمته لسيبويه:

كان فيه مع فرط ذكائه، حُبسة في عباراته، وانطلاقةً في قلمه؟

يا صاحبي: إغلاقُ الباب عليكَ في مجال لا يعني إغلاقه في كلِّ المجالات!

فسبحان من جعل الكمال لنفسه، وجعل النَّقص لعباده!

وُهِبَ سيبويه قلماً سيَّالاً، وحُبسة في كلامه!

ووضعَ الخليل بن أحمد علم العَروض ولم يكن يقول الشِّعر!

ولمَّا سُئِلَ عن هذا، قال: أنا كالمِسَنِّ أشحذُ ولا أقطع!

وكان أحمد شوقي أمير الشعراء لا يُحسِنُ إلقاء قَصائده!

وفُتِحَ لحسَّان بن ثابتٍ في الشِّعر وأُغلِقَ عليه في السَّيف،

فلا تتأسَّف على ما فاتك، سابِق في مِضمارِك!

299

خُذْ مني الخلافة!

في كتابِ تاريخِ دمشق لابنِ عساكر:

دخلَ الفتحُ بن خاقان على المتوكِّل فوجده مُطرِقاً يُفكِّر،

فقال له: يا أمير المؤمنين: علامَ الوُجُوم، وما في النَّاس أنعم منك بالاً؟

فقال له: أنعمُ منِّي بالاً رجلٌ له دارٌ تؤويه،

وزوجةٌ ترضيه، ومعيشةٌ تكفيه،

لا يعرفنا فنؤذيه، ولا يحتاجنا فنزدريه!

يا صاحبي: لا يعرفُ قيمة الشَّيء إلَّا من فقده!

وما من إنسانٍ مهما أُعطِيَ إلَّا وينقصه شيءٌ في هذه الدُّنيا!

سمع المأمون أبا العتاهية يُنشِد:

وإنِّي لَمُشتاقٌ إلى ظلِّ صاحبٍ، يروقُ ويصفو إن كَدِرتُ عليه!

فقال له: خُذْ مني الخلافة، وأعطِني هذا الصَّاحب!

300
العبدُ لا يكون إلَّا في أمرِ سيِّده!

في كتابِ اعتلالِ القلوبِ للخرائطيِّ:
قال الخليفةُ: يا أبا حازم أوصِني!
فقال له: إيَّاكَ أن يراكَ لله حيث نهاكَ، أو يفقدكَ حيث أمركَ!
يا صاحبي: انْظُرْ دائماً إلى موضِع قدميك!
إن كنتَ حيث يرضى الله فأقِمْ، وإن كنتَ حيث يغضبُ فغادِرْ،
كانت العرب في الجاهلية تقول: العبْدُ لا يكون إلَّا في أمر سيِّده!
فَكُنْ عبداً لله كما يتطلَّبُ مقام العبوديَّة، في أمر سيِّدك!
وإنَّ الإنسان لو صَال وجَال، وذهبَ وأتى،
فلن يشعر بالحُرِّيَّة إلَّا إذا كان عبداً لله!